



عيون المعاصرة

محمد السعدي

# حدث أبو هريرة قال ...

تقديم  
توفيق بكار

دار الجنود - الناشر - تونس

م

محمد السعدي

حدث أبو هريرة قال ...

م

أبو هريرة خطر على اطمئنانك .  
يستنطقك - بلا رحمة - عن معنك بما يساطه  
عليه من اسئلة قاسية تمس بأصول الحياة :  
الولادة والموت والدين والسياسة والحب فيرغمك  
مهما كان اعتقادك على معاودة فهمك لوجودك  
والثبث في صحة علائقك بنفسك وبالمجتمع  
وبالله وبالكون . وليس هم أن يقنعك برؤيته  
بل أن يردك الى نفسك عسى أن تضطلع واعيا  
بمصيرك فتكون انسانا .  
من أقوى نصوص أدبنا المعاصر، تجربة  
فريدة في الكتابة .

محمد السعدي : من كبار الأدباء العرب في العصر الحديث ورأس  
مدرسة فريدة في الكتابة . ولد بتازة سنة 1911 . من خريجي المدرسة  
الصادقية وجامعة الصوريين . سيز في اللغة والآداب العربية . أشرف فيما  
بين 1943 و 1947 على مجلة « الساحل » . تقلد مسؤوليات عدة في  
الهيئات الوطنية والثقافية . تولى بعد الاستقلال وزارة التربية الوطنية ثم  
وزارة الثقافة بتونس . أشهر مؤلفاته : السد ، مولد النسيان



رقم الناشر 02 0008

التمن 3.750 د.ت.

## تقديم السلسلة

أن نتجذر في العصر ذلك ما يأمرنا به واقعنا العسير . واننا ما لم نستجيب لهذا الامر ففتشع بروح الحاضر لمشاولون سياسيا وحضاريا عجز أمام التحديات القاتلة . وليس مألنا أن نكون مطمعا للاستعمار الجديد يفترسنا بضراوته التكنولوجية أو متحفا اثنولوجيا لامتناع منذوق العتيق أو لوحة فلكلورية لتسلية السواح . فلا بد أن نعدل حياتنا على ساعة العصر حتى نخرج من سلبية المفعول به -تاريخيا - الى ايجابية الفاعل ونثبت حضورنا دوليا وعلى حد السواء في مراكز النفوذ ومواطن الخلق ، خلق الاشياء والقيم والعلوم والفنون . فهو شرط وجودنا الاكمل في هذا العالم الذي نحن منه ولا نملك اليوم أن نؤثر في سيره بملء وزنا . فلنخترع أنفسنا من جديد ، وإنه ان اقتضى ذلك منا أن نخلع عنا الرجل القديم فلا يقتضي أن نسلخ من هويتنا لنغترب في الآخرين . فالحدائث ان نستوعب أسباب التقدم في كافة المجالات حتى ننمي مجتمعاتنا تنمية شاملة ونفجر فيها طاقات الخلق المدفونة تحت ركाम الفقر والظلم والعدوان ، بحيث نصبح قادرين على المساهمة الناشطة - بطرافة شخصيتنا - في صياغة مصير العالم .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الجنوب — تونس 1979  
79، نهج فلسطين — تونس

الطبعة الثالثة 1989

هذا الاهتمام الملح هو الذي أملى على دار الجنوب للنشر أن تقدم  
بفتوتها على إصدار سلسلة خاصة تعنى بنصوص أدبنا الحديث  
وتحمل اسم « عيون المعاصرة » بكل ما في « العيون » من الإبداعات  
فعلى مدى قرن من الوجود - انطلاقاً من أوائل النهضة الى اليوم -  
قام الادب العربي الحديث - نصاً بعد نص - صرحاً من الكلام  
نحته الذهن العربي على تعاقب الاجيال من تطلعاتنا وتراجعاتنا  
وانجازاتنا وحياتنا وثباتنا وحيرتنا وصوابنا وأخطائنا في مواجهة  
المصير منذ أن أفقنا بين الأوجاع على عنف التاريخ . وهو أدب  
يخبرنا عن نفسنا في مسيرتنا المتعرجة خلال الزمن الحديث ومتى  
عرفنا كيف نحكم معه الحوار استطعنا أن نستمد منه - جدلياً - ما به  
نواصل بأكثر استبصار وجدوى طريقنا نحو مجتمع متقدم .

وستهتم « عيون المعاصرة » بما اشتهر واستقر من تأليف كبار  
ادبائنا وبما هو جديد من عطاء الحاضر المتدفق فتقدم لكل نص  
تنشره بمقدمة من انشاء خيرة نقادنا - مغرباً ومشرقاً - تكشف أبعاده  
وتوظفه - قوة فعالة - في صراعاتنا الراهنة من أجل وجود أفضل .  
و « عيون المعاصرة » آفاق طليقة لا يحدها حد اذ هي مؤمنة بحرية  
الخلق والتعبير مفتوحة على رياح الفكر العربي اين كان المهب ولا  
تشرط في الانتاج الا أن يكون من صميم الابداع وفي صميم  
القضايا يثري شخصيتنا ويدفع الى الامام . فتلک عقديتها وهو  
التزامها الوحيد وستفي .

محمد المصمودي

توفيق بكار

## الإهداء

إلى أبي رحمه الله ،

الذي رتلت معه صبياً على أنغام القرآن  
وترجيع الحديث ، مما لم اكن انهم طفلاً ولكني  
صُغْتُ من إيقاعه منذ الصغر لحن حياة - ورباني  
على ان الوجود الكريم مغامرة طهارة ، جزاؤها طمأنينة  
النفس الراضية في عالم أسمى فأسمى - وفي انشاء  
ذلك كله عاتني بإيمانه سبيل إيماني .

٢٠٢

## مُقدِّمة الكاتبة

هذا كتابٌ كتبتُه منذ أحقاب ، حين كنتُ أروم  
أن افتحَ لي مسلكاً إلى كياني الإنساني ، وأقضيَ حجاً  
إلى موطني المفقود : وفاءً حنيناً إلى الذاتِ الجوهرِ  
الفرْد ، وتوليداً للعِشْرة من معدن الوحشة ، وإشهاداً على  
أنّ تاج الكيان مرَّكبٌ من العشق والفناء .

وقد طرحته منذ ذلك العهد طرَحَ الحية جلدَها .  
ثم عدتُ إليه بعد ان شاعتْ منِّي في ابعاد العمر كلُّ  
مُهْجَة ، فإذا هو يحدثني بحدِيثه اذ ذاك : صدَى منِّي

المَيَّ : ككل حي لا يزال : الحياة كَوْنٌ واستِحَالَةٌ  
وماساةً ، فإذا هي ارتدَّت ظاهرةً وقراراً ورضى :  
فهي الخسرانُ ولعنةٌ على الزائفين .

ولئنُ انا اخرجته اليوم إلى الناس ، وأحييته كما كان  
أحياني ، فعلى أمل أن يكون لدى غيري - ان استطاع - ما به  
تدرّبتُ على أن أكون .

وإن كلَّ كيانٍ لجهدٌ وكسبٌ منحوت .

تونس - خريف 1972

٠٣٠٣

## تمهيد

إلى القارئ

الآن ، وقد انتهيتُ وطرحْتُ بهذه الصحائف  
الضعيفة الناحلة اليك - انظر فلا ارى غير العدم ...

ستذهب هاته الصحائف فتمضي وتمحى . فهي  
انفاسي قد ذهبتُ ولها ربحٌ ما يبلى ويأكله الدود .  
كجميع الذين كتبوا من قبلُ ، يظنون أنهم خلدوا  
وأما تواتوا الموت . وما خلدوا . وأتمما هي آلامُ الانسان  
بترامي صداها من قرْنٍ إلى قرنٍ ومن جيلٍ إلى جيلٍ ،

كما يتردد صدى الرعد بين الجبال ، فلا يكون للرعد حياة او ترون الصخور . وليس لكل رعد صخور تردده .  
فقد يتفلق بقاع صغصغ فلا يصيب من الدوام الا طرفة العين .

وان هذا الكتاب لكالصوت او كالصيحة في واد  
به حاجة الى ما يردد صدها ويُسري فيه خلجة الحياة .  
فقد كتبتُ أكثره في الليل جعلته دعائي للصبح ،  
واستوقيتُه ولما يتنفس الفجر .

وليس لطالب ان يطلب فيه جديدًا من المعاني  
طريفًا ، لانه لا يكون عندي أطرف مما ينشأ في نفس  
القارئ عند مطالعته من الافكار والمشاعر . فلتدخل اليه  
إذن ايها القارئ بأمرك الباطن ولتنشره عليه ، وإلا  
فلتعرض عنه ولتدعه إلى غبار المكاتب والنسيان . هو  
دعوة الى احياء نارك . فان لم يُحيها من رماد ، فقد  
مات وبطل همك منه .

واذا كان لا بُد له من جدّة وطرافة لتقبل عليه ،  
فاعلم أنه ليس في نظري أطرف من جدّة القديم :  
كنفسك وأحلامك وأسأك وحيرتك . ولعل أجد ما فيه  
بعد قصتك الباطنة ، روح أبي هريرة ، لانها تنسب  
إلى اقدم الاقدمين وتود أن تنسب اليك . ولعله ليس  
شان الكاتب الجدّة والطرافة ... وانما هو ان يفترق  
على يده الجوهر عن العرض العارض .

وقد يحتاج أبو هريرة عندك إلى التعريف ولست  
بمعرفة لك (1) . وانما لك من شأنه ما قد يقع  
بنفسك عند انتهائك من هذا الكتاب . ولتذكر بيت  
أبي العتاهية :

وأبي امرئ في غاية ليس نفسه  
إلى غاية اخرى سواها تطلع

(1) في رواية أن أبا هريرة ثلاثة : أولهم الصحابي رضي الله عنه وثانيهم  
النحوي وثالثهم هذا .

## أوجاع الإفافة على الناسخ العاصف

« على أمل ان يكون لرنات مغامرة ابي هريرة في  
نفسك الكريمة صدى كريم » .

اهداء الكاتب نسخة من قصته الى صاحب التقديم

لا اظن قريحتنا الروائية خلقت أقوى ولا أبعث على الدهش من  
شخصية أبي هريرة . كائن شديد الغرابة يمتزج فيه الصوفي بالمغامر ،  
يهيم باللانهاية كعشاق الحق قديما وله وجدهم ، جرى يحب المجازفة  
كهواة المخاطر من هذا العصر . قرر أن يضطلع بمسيره في كامل  
المسؤولية ، أن يحيا صاحيا مفتوح العينين شديدا على ذاته وعلى غيره  
لا يموه شيئا على نفسه ولا يساوم على ما يعتقده الحقيقة ولا يتسامح  
فيه مع أحد . فهو دائم الحيرة لا يني عن التطواح كأنما يقلقه في كل  
لحظة الى حد الذعر أن يخطئ الوجود فيقوته . يعيش في دوامة السؤال لا  
يدع أمرا الا استنفهم عنه ولا تجربة الا زج نفسه فيها يشك ويفحص  
ويختبر . متطرف في كل شئ في الأفكار والعواطف والمواقف يهوى التناهي  
فإذا طرق سبيلا مضى فيه لا يقف الى ان يبلغ الغاية . تفتنه الحياة ويفجعه  
الموت على السواء الى الجنون وهو مشدود اليهما كالمعذب تكاد عراه  
تنفصم من شدة التوتر . يجب أن يتحدى وتغريه العظيمة ، يريد أن

وقول « هولدراين » : « أتعلم على م حزنك ؟  
إنه ليس على شيء مفقود فقدته من زمن معين  
يمكنك أن تقول متى كان عنك ومتى ذهب . إنما  
هو على شيء لا يزال حيا قائما فيك . هو عهد أسى  
من عهدك الحاضر تطلبه ، هو عالم أجمل من  
عالمك هذا ... »

ولتذكر نُذِر « سفر التكوين » : « لا تأكل من  
الشجرة الحرام . فأنت إن فعلت لذائق الموت » .

وشأن « نيتشه » يقول : « اذا ذهب صدقي فقد  
عميت . فإذا اردت المعرفة فقد أردت الصدق ، اعنى  
الشدّة والتضييق على نفسي والقساوة لا تلين » .

• •

اذا قرأت هذا الكتاب فله عليك - في مسيرتك  
اليك - ان تكون قاسياً غير رحيم .

يكون انسانا ، أن يكون الانسان ولا يخلو من عجب قد يصل الى التعنجه . شخصية عتيبة وبلا مرأه صورة مذهلة من قوة الابداع . ورغم أنه طيف خيال ونحت كلام ، خرافة كبيرة فهو يعيش بيننا كأنه من الاحياء جزئا من واقعنا . هكذا الادب اذا كان خلقا بصير قوة تتحرك في الوجود فاعلة . ولا تملك متى عرفت . في الاعماق لا على السطح . ألا تتفاعل معه . فهو يجذبك اليه ويستطلقك بلا هوادة عن معتك فيرغمك مهما كان اعتقادك على معاودة فهلك لوجودك والثبت في صحة علائقك بنفسك وبالمجتمع وباللله وبالكون . ولا يهم بعد ذلك إن لم ترضك أجوبته بوله على الاسئلة أجوبة فليس غرضه ان يفرض عليك رؤيته فيجعلك اليه بل ان يردك الى نفسك « فيحيي نارك » . ومد عرفته . شخصا . وأنا معه في جلد صعب عميق لانه يمس بجذور الاشياء . يسألني من موقعه الفكري الخاص عن الحياة والموت والحب والدين والسياسة وأجابه او العكس بالعكس من موقعي الفكري الخاص بلا محاباة على قدر صراحته صدقا بصدف وكلانا - ككل الناس - جالس على جانب ما من فوهة بركان واحد . فوجدتنا نلتقي في صميم مذهب الانسانية نعظم معا هذا « الذي حارت البرية فيه » وهو « حيوان مستحدث من جماد » ونحملة كامل المسؤولية ثم قد نفترق في ما وراء ذلك من المدلولات والابعاد . هو روح جامحة الى المطلق مفتونة بالابد وبصر ضارب في أعماق « الغيوب » وآفاقي أنا التاريخ وهو أوسع لا تحد وأبعاد لا تدرك وليس وراء التاريخ الا التاريخ ، ويؤمن بأنه « جوهر فرد » الى حد الوحشة المضنية حتى وهو

بين الناس وأعتقد أنني « مفرد بصيغة الجمع » أو - وليسمح لي أدونيس بقلب عبارته « جمع في صيغة مفرد » الى حد الاكتظاظ بل الاختناق أحيانا ، وحيث أرى ملحمة اجتماعية هائلة تغير كل شئ وتجسد معنى الحياة بلا نهاية يرى مأساة فردية مزعجة وقصة معادة مذ كان الانسان وتختم حتما بالموت . وليس الذي بيننا مع ذلك حوارا باطلا وانما هو تبادل حقيقي ومثر . كم نسينا في مجتمعاتنا العربية أن الحوار لا يكون الا بين اثنين ( على الاقل ) ومع الثباين حتى وان بلغ حد التناقض . فلا انصاف للآخر ولا اعتراف له بحقه في الاختلاف ولا بحريته في ان يكون هو لا غيره فكرا وعملا بل قسر بالسجن أو التشريد والتعذيب أو القتل على الدخول في الصف والامثال « للحقيقة » السلطانية . خسرنا كثيرا وما زلنا نخسر بهذا السلوك المتوحش . فهمني أبو هريرة رؤيته للوجود ولعاني أفهمه ما رؤيتي وكشف لي عن نواح من الحياة كنت غافلا عنها . بل أكثر من هذا أخرجني مرارا بأسئلة دقيقة لا تقوى عليها الردود الجاهزة ولا الشعارات الشائنة فاضطرتني الى التعمق في مبادئ لا استنباط أجوبة جديدة من شأنها أن تقنعني قبل أن تقنع غيري . فليس من أقل مزاياه علي - بلا سخرية - أنني به صرت أتقدم في فهم مذهبي وفهم الحياة . وهذه قصته كما انفلت بها نفسي من خلال هذا الحوار الطويل .

بأكل شيء ذات فجر « بعث أولي » انفتحت فيه نفس أبي هريرة على لثة الوجود وانتهى كل شيء ذات غروب ب « بعث آخر » عبر معه أبو هريرة حدود الدنيا الى « شواطئ الازل » . وبين هذا الفجر وذلك الغروب رحلة حياة امتدت به من مطلع العمر الى أن جاوز الأربعين و « آن الرشد » رحلة طويلة وراء نفسه ومغامرة تلو مغامرة اقتحم فيها الوجود من شتى الشنايا ليختبر أبعاد بشرته وتوحدت . في جو من الخوارق - بتجلي « الحق » له في قمة جبل شاهق ففتني فيه ولم تبق منه الا آثار من الدم على الصخر تشهد بمصيره الانساني وأخبار متشورة يسردها الرواة .

كان في أول أمره يعيش بمقتضى العادة كسائر أهل « مكة » - ومكة هنا كناية عن المجتمع الاسلامي في عهد ركوده التاريخي - ينسلم الحيلة من السلف كما هي ولا يتسائل عن مبرراتها ، متدبنا يؤدي الصلوات في أوقاتها ، متزوجا على السنة ، متخالفا بالقيم الموروثة فلا يرى في الجسم الا قبحا ينبغي أن يستزهد ويختصر كان مثال المسلم التقليدي الى أن جاءه ذات يوم صديق له - كتبت هويته كأنه من دعاة بعض لمذاهب السرية - فدلته خفية على ما كان يجهل من أشكال الاحتفال بالحياة واذا هو يفتجأ في خلاء الصحراء ساعة صلاة الفجر بمشهد مدهش كأنه من عالم الحلم : على رأس كتيب في مستوى الافق تنفجر شهوة الوجود أنغاما ورقصا موقعا من جسدين عاريزين ، فتى وفتاة « في قبي آدم وحواء » بقميائها صلاة أخرى وثنية طارية للشمس الاله وهي تطلع على الكين وترسل في الموجودات من فيض نورها وحرارتها روح الحياة « سلام على الروح يسري على بسر » ومن وراثتها

واحة « سرو » ضائعة بين الرمال مثل الجنة تجري من تحتها الانهار . ومن جسم الفتاة وهو يترجح في طلاقة عريه وبعاق بهجة الكون في جذل ذاتيا في النور أو الهواء أو الرمال يلتقي أبو هريرة « دعوة الدنيا » رائحة وسط « هذه الاشجار وهذا الماء وهذا النور وهذا الفضاء وهذا الخلاء » . فلا يتردد الا قليلا ويستجيب فيترك مكة والزوجة والصلاة وقد « بعث » من بين « الاموات » الى الفردوس ، ليس فردوس السماء الذي ما فتى يحلم به حتى كاد يغيب فيه كليا عن واقعه بل فردوس الارض وقد مات عنه حتى أحياه بنفحة من طيبه . من جنة موعودة الى جنة موجودة ملهى « البعث » مجازيا ومداه دلاليا انقلاب في التفكير من لا هوية مغرقة ترتقي بكل الحيلة الى الآخرة - « لهم الدنيا ولنا الآخرة » - الى انسانية معتلة تنزل بكل الحيلة الى الدنيا حتى تعمل لها « كأنها تعيش ابدا » . على أن « هبوط » أبي هريرة من التهويم في السماء الى مباشرة الارض - وسبحان في حديث « الغيبية » عكسيا أن يعود الى السماء - كان مثقلا بشهوانية عارمة تحيل - خلفيا - الى مذهب بعينه . فالفردوس الذي مثل لابي هريرة بغتة كالذي يوعد به المتقين في الظاهر ولكن نعيمه مستمد من وحدة الوجود واياحة أهل الفطرة ووثبة الاولين : خلاصة الفلاسفة الطبيعية من أسطورة آدم وعصره الذهبي الى « اندري جيد » و « أطعمته الارضية » مرويا بمذهب « ديونيزوس » وتصوف ابن عربي وآراء « روسو » . فكأنما « بعادت الروح » الى أبي هريرة بعودته الى « الطبيعة الام » يتخذ معنى الحياة من زخر مائنتها . فهي التي بعثه من رميم الرجل القدم الذي كانه فهب

انسانا جديدا يسعى بكل حواسه الى ملافة الكون للعب من نبع الوجود ونكهته  
 وافتح قواك للوجد وخله لليم للامواج للديجور حتى تعانقه الحياة ويرتوي  
 « ظمئت الى النور فوق الغصون ! ظمئت الى الظل تحت الشجر ! »  
 « ظمئت الى الكون ! فأين الوجود وأني أرى العالم المنتظر ؟ »  
 « هو الكون خلف سبات الجمود وفي أفق اليقظات الكبر »

صوت يجاوب صوتا كالصلى يتردد في ارجاء البيح التونسية بين الحربين معبرا عن تلهف جيل كامل الى الحضور من جديد في دنيا « غبنا » عنها طويلا وهو من مظاهر الافاقة على التاريخ في تلك الفترة الانعراجية التي انشقت فيها بعد مخاض عميق القوى الاجتماعية الحديثة عن هياكل القديم نهائيا وانطلقت في حركة متعاظمة تبدل بأفكارها الجديدة وجه الحياة . « فالبعث » - آخر الامر - صورة مجازية تترجم في ذلك الوقت عن قفزة الطلائع المثقفة من الماضي الى الحاضر ورمزها هنا أبو هريرة وقد كان - وهو سمي الصحابي المشهور - اسما راسخا في القدم ينو بعبه التقاليد فصار عنوان المغامرة في العصر والسعي الجسور الى اعادة بناء الحياة. هكذا تشف كثافة الرمز عن واقع المجتمع وتغرس الكتابة رغم تباعدها في أرض التاريخ .

ويبدأ أبو هريرة رحلته وهو في عنفوان الشباب بالغوص في أعماق الحس وقد تفتق فيه على « منع الدنيا » : الطعام وطيبه والخمر وسكرتها ولذة الهوى و... نشوة السمق - فحتى « العلة » صارت - في ما عانى -

من « محييات الحياة » وحال البلوغ الى النصف الآخر من « متاع الدنيا » . ويرغب أبو هريرة في تعاطفها ويتطرف همه أن يذهب فيها الى أبعد حد ولا يبالي ان شد عن الاخلاق المتعارفة بل هو يتعمد تحديها بعنف اذ انقلب على التزمتم تمردا « نواسيا » يستحل ما تنهى عنه تقاليد « الحشمة » باسم « حقيق الطبيعة » وشرعية الرغائب رغائب جيل كان يشعر - حسب عبارة القصاص محمد العربي في يومياته وهو معاصر للمسعودي - « بجوع كافر الى الحب » . فهذه القصة هي فيما أعرف أول نص أدبي يطرح بمثل هذه القوة وهذا العمق الفلسفي قضية الجسد في المجتمع العربي الحديث . وقد اجتمعت لابي هريرة كل هذه المنع على اختلاف ألوانها لدى قبة تجنن الرجال بحسنا الغرب وشروود روحها ربحانة المرأة الزهرة ولكنها زهرة من لهب « كأن في عينها نارا وفيها ماء حميما » . شعلة منبعثة من سفير كبير لا يتطفئ موقده لانه موقد الحياة ذاتها وهو الجنس والاهاه - في المنطق الاسطوري للنص - « أساف وناثلة » شعار الحب العاصي . ورثت ربحانة سرهما عن قومها وكانا من أشياعهما قبل أن يذهب بهم الحريق . أول ما رأى أبو هريرة هذه المرأة أدرك من هي « عمدها » خمرًا ثم تحت شجرة واقعهما بين قهقهات السكرارى في ضمة وحدت بينهما جسدا وروحا ودشتت صحبة ساخنة دامت ثلاث سنين . أذاقته ربحانة أفانين اللذة وأدخلته في عبادة الصنمين وكانت تقام لهما في ضيعته ليلًا شعائر كشعائر المجوس على نار تتقد « ذكرا به لوعة الصادي » وحبل الالسة الحمراء الطالعة أشباح المريرين فنية وفتيات يرقصون كالشياطين أزواجا وهم عراة على

جنين الدقيق والمزهر وريحانة « سادة المعبد » تشدهم من « كتاب »  
معبوديتها :

أساف ونائلة  
هذه الدنيا انثا  
يسمع منها لهات  
أوقدا جذواتي  
كلها تدعو الذكور  
بدؤه بدء الدهور.....

« تخميرة » وثنية أو « ربوخ » « اباحي تعظيما » للجدوة واذكاء لها حتى  
تشعل نارا على نار . يتلاعب الكاتب بكل معاني النار من الجنس الى  
الوثن الى جهنم وابليسها سلسلة واحدة من الدلالات . وكأن بشارا وهو  
من الشعراء الموحين الى الكاتب يوسوس من خلف السطور هنا :

ابليس خير من ابيكم آدم  
النار عنصره وآدم طينة  
فتبصروا يا معشر الفجار  
والطين لا يسمو سم النار

ويشارك أبو هريرة بهذا الحفل الجاهلي في اضرام أوار الجسد ليروض  
نفسه في نوع من « الجهاد » الصوفي على تلك زمامة وهو في أقصى  
التهايه لانه صار لا يحب السير الا « والهاوية » يطل على القاع وظل صاحبا  
لا يأخذ الدوار يمنعه من الدهشة شي ما . أجل ثمة قلق خفي بدأ  
يدخل لذته حتى في أشد حميتها وهو شعور لا يزال خافيا بديب الفناء  
في كيانه مع مرور الزمان فيحاول أن يقنيه من نفسه بالتحدي الساخر  
كما يبدو من علاقته الغريبة بمقبرة المدينة وتقع تحت شرقه بيته .  
فقد اتخذها له ولصاحبه مجلس أنس وفراش هي . على أديبها

بروق له أن يتعاطى حبيبه كأنه اذ يهصرها على « رفات تلك العباد »  
يقهر الموت فيطمئن ويبلغ قمته الوجود . هكذا بسورات الهوى ظن  
أن قد تداوى من نخر الداء القاتل كما حسبت ريحانة أنها بسحر  
جمالها قد شدته من حواسه اليها في خلد جنتها - أو جحيمها -  
« تأكله ويأكلها وتغنيه ويقنيها » وكلاهما لآخر آفاق دينيه الواسعة .  
ولكن الشعور بالموت احتد ولم يعد أبو هريرة يرى في المرأة وان كانت في  
فتة ريحانة الا فردوسا كاذبا ولا في الهوى على عتفوانه الا سراب أبد .  
أورثته وليمة الجسد « جوعا » في الروح يفرغ فيه كهوة العدم التي يحس  
أنه يتلذذ فوقها . ويشهد به السؤال : أي خير في « مائدة » تقدم للانسان  
حتى اذا شرهت اليها نفسه انتزع منها عنة الى التلف ؟ وهل ريحانة  
نفسها الا « كالزهرة على القبر » جمال منغرس في تربة الفناء أو كالشمس  
لا يشرق نورها الا لبتظلي وبغيب ؟ أصبح الموت يسر نشوته ويشيع  
في الكائنات والاشياء . حوله طعم اللي حتى تعفت في فة اللذة  
و « شاخ النور » في عبه بعد الذي وجد « من جلة العمر » ولا يتجاوز  
الثامنة والعشرين . ما أسرع ما شفعت « ارادة الحياة » باحساس الموت  
حتى صرنا لا نعرف أبعيش أبو هريرة حياته في الموت أم موته في  
الحياة ؟ كيف انقلبت الافاق على التاريخ كحركة تدفع الى الوجود  
تفجعا من الزمان كسيل يجرف الى العدم ؟ ولم ارتدت الملحمة  
الاجتماعية في الواقع مأساة فردية من النص ؟ بين القصة وسياقها توتر  
شديد ستكشف بقية المغامرات عن أسبابها . على أن وعي الموت لدى  
أبي هريرة سيصبح من الآن أقوى وازع للحياة بلقي عليها ظلاله وفي

واذ أبقر أبو هريرة ان سيرة الحواس أو هي من أن تنسبه فاجعته  
 لم ير بدا من استئناس الرجل بحثا عن معنى آخر للحياة يراه أخلق  
 بانسانيته وأدحض للموت . فليس من شبيهه كشخص مأسوي يرفض  
 خداع نفسه - وعلى عكس المثل المعروف في كلبية ودمية - أن يظل  
 منشغلا بـ « العسل » و « التين » في قعر « البئر » يتربص به فامفتوحا  
 لالتهامه . ويعمد الى علاقته بحبيبه فيجتثها من العروق وهي لا تزال  
 حية فيه ثابتة فيذهب عنها ويظل منها الى آخر أيامه « أعجز الناس عن  
 الحب » . أما هي فلم تمنح ذكره من ذهنها الى أن شاخت فقد كان  
 بصرها بالحياة حتى صار لها كل شيء بعده « وضاحا » . المسعدي حريص  
 في ما يبدو على أن يلبس بطله مع النساء خاصة ذو المرأة تجلوهن  
 صورهن وصور الاشياء حولهن على حقيقتها . فقد « وضع » أبو  
 هريرة ربحاته كما سيضع بعدها ظلمة . وما هذه الا صورة معكوسة من  
 تلك . فولدت كلناهما للدنيا من جديد . بعثهما كما بعث وبقية عينه  
 التي « كأنها تنشئ مرثيا انشاء » مهما يكن من خوارقه مع ربحانة  
 فانها لا تستطيع أن تخفي أن علاقته بها - بالمرأة فيها - لا تخرج في  
 النهاية عن دائرة تصور ما رجالي شائع . طبعا ليست ربحانة من النساء  
 اللاتي دجنهن المجتمع المحافظ بشدة الكوايت كالزوجة المسكينة التي  
 لم تظهر في القصة الا لتأخذها الصاعقة . وكان أبو هريرة يحو عليها  
 برقة ولكنه يدعوها الى « الجهاد » معه فتأى وجلا أو تقوى . ربحانة امرأة

طليقة أبدية كما تهوى روحه المتمردة وبعثتها ما في ذلك شك ولكن هل  
 هي بالنسبة اليه الا انثى شبيهة؟ فانها لم تكن سوى وقفة لذينة في طريق  
 « المسافر » ومستراح ينفض عنده البطل « عناء الجهاد » جسد ممتنع  
 ولكنه مشدود الى الارض عاجز عن الارتقاء مثله الى « القمم الشاهقة »  
 كأن ليس لها من روح إلا روح الجسد . كذلك كانت ميمونة مع غيلان  
 في « السد » و « المرأة العارية » مع « راعي النجم » في قصة علي  
 الدوعاجي المشهورة على ما يعرف في هذا الاخير من تفهم عميق للنساء .  
 فالرجل دائما روح منتظمة الى الغايات البعيدة وحركة لا تهمل المرأة  
 دائما كتلة من الحواس وقرار في المكان ( الداركما نقول ) ووضى بالوجود  
 الملموس الداني . وعلى فرض أن هذا التصور يعكس تفاوتنا حقيقيا بين  
 وضعية كل من الرجل والمرأة في مجتمع ما بين الحربين أفهم من طبيعة  
 الاشياء فيطلق حقائق أبدية : « أكلما تمرد شيطان في انسان قامت  
 له امرأة نيبا ؟ أكلما قامت في قلب أعاصير جعلتها النساء خطوطا  
 مستقيمة ؟ » أو - ويقول هذا في ظلمة لا في ربحانة ولكن كليلهما في  
 الحكم « امرأة » - « كذا المرأة لا تكين الا واهنا مقطع الجهد فاذا  
 همت أو اشتدت بعض يوم اذا هي رماد » - واذا المؤودة سثلت ...  
 ظلم قديم . وما عجيبي الا من أبي هريرة يرى البعيد بعينه الخارقة  
 ويعشى عن القريب يريد أن يحمر المرأة واذا هو يكرس فكرة « نقصها  
 الجلي » .

ويدخل أبو هريرة طور العزلة فيختل عن الانس في « واد لا يسكنه

الاجز . . مكان ملائم يتماس فيه عالم الواقع وعالم « الغيب » بحيث تشف بينهما « الحجب » وتتكشف « الاسرار » كما سيقع بعد حين . أبو هريرة دائم التطرف معنى ومكانا : فكما يؤثر السير على شفا المداوية كذلك يؤثر السير على « تخوم » الدنيا يشرف منها على « ما وراء » فعينه . كما قالت ظلمة - « أشد ما رأيت شوقا الى ما تراه غيرها من العيون » . وعينه مع صوته هما الشيطان الوحيدان اللذان يبدوان من معالم وجه المحتجب وكلاهما معقود بأعماق الروح من ناحية « كأن روحه البصر » وبأبعاد المجهول من ناحية أخرى « كأن صوته رجع غيب بعيد » هكذا أبو هريرة لا يعيش الا في الا الشهامة . وفي خلوة ذلك الوادي ينعم بذاته في توحيدها سائحا في أرض كالعروس توتيه من شهى ثمارها ، سابحا في ديمومة تبلو مطلقة من الزمان أشبه بآدم في جنة . وتعود صورة الجنة مرة أخرى وليست المرة الأخيرة كاشفة في باطن أبي هريرة عن حنين شديد الى « الفردوس المفقود » الى « البدء » وما يعتقد من براءته وسعادته وأبديته . شوق الروح الى أصلها ؟ أفلاطونية قديمة . الانطلاقة عمد على بدء أم نحت للحياة على غير مثال سابق ، من جديد واستنباطا من ممكنات التاريخ ؟ كدت أرى أبا هريرة كقول جحجلول المعري « يمشي الى الورا زفقوته » . على كل لا ندوم بأبي هريرة لذته بنفسه . فإ من عادته أن يقتصر على حدود فرديته طويلا والا اختنق في جلده . ألم يكن منذ الصبي يتزعج الى الأخيرين نزوعا مؤثقا وينوق الى التلبس بهم حتى يحبوا فيه ويحبوا فيهم ؟ ولكن لماذا هذه الشهوة الافتراضية التي تداخل مشاعره نحو غيره حتى بهم يشق

البطون وسرق الارواح كان الاخرين لا يعنونه من حيث هم بل من حيث هو وحاجته الى الامتلاء . أبو هريرة يزعم أحيانا من فرط عنجهية . ولا يلبث ان يفتقد بعده الجماعي « فيشتاق العبد » عدد الجماهير ويعود اليهم « مرصلا » لاذ يتاجيه « الغيب » في ذلك المكان المسكون بسر الطين كما ناجى موسى ربه في طور سنا . وينزل عليه كالوحي يرده الى الجماعة . فقد ناحت الريح ذات يوم - ترجمه عن القوى الخفية - بصوت كأنه نشيج الانسان يتوجع اليه من الشقاء منذ القديم ثم هاجت فأزاحت الرمال وأرته رسما دارسا وجمجمة آدمية وقف عليها يفكر - كما وقف « هملت » على جمجمة « يورك » يتحسر : « أوأه يورك المسكين ! » - وإذا هذه الاطلال والعظام البالية تصفعه « بقصته العجوز » : طين ماله الدمار والتلاشي وما فتئ يعاني حتى يخترعها من جديد . وكأنما تتجمع في نفسه اذك آلام الانسان وثورته فيرفض « الحنم » ويصق في وجه الموت مصرا على « بكر السيل » . ثم يرى في المنام رؤيا تؤكد فيه روح المقاومة . يرى صورة الانسان تأله « وقال أنا ربكم الاعلى » : فرعون « ذي الاوتاد » يشرف من أعلى صلافته الانسانية - وهامان رأس السحرة الى جانبه - على قومه وهم يغالبون الدهر بالطين والصخر ليشيدوا عظمة الانسان وخلوده . فتلهسه الرؤيا معنى القدرة الانسانية الخلاقة والفعل الذي « ينفي العدم » وأن « الطين » الذي جبل منه الانسان كائنا ضعيفا عابرا لهو الذي يمكنه من بناء مجده ودوامه . يطل من وراء فرعون شخص « برويتي » رمز العصيان الانساني كما لاح من خلف أساف وثائلة طيفا « بخوس » اله الإباحة و « فينوس » ربة الحب . وشأن

المسئدي في هذا النص وغيره من النصوص الاخرى أن يستبدل من وجه الميثولوجيا الغربية وجوها أخرى في مثل قوتها مأخوذة من الاساطير العربية حفاظا على الاصاله الثقافية في مجال التخيل والترميز . وهذه من ابداعاته المحسوبة له . أيهما مالك السماوات والارض : الانسان أم الاله ؟ « فرعين أم الله ؟ » سؤال خطير يطلب جوابه في مغامرة جديدة مغامرة الفعل .

ونبىء أبو هريرة في تجربته هذه بميلاد بطل « السد » : غيلان « الانسان الرجيم » الذي تمرد على الآلهة وأخذ ينازعها السلطة على الكون اعتدادا بقوته . وكلتا الشخصيتين تجسم في مستوى الابداع الطاقات الجديدة التي فجرها التاريخ في صلب مجتمع ما بين الحربين وكانت تتطلع الى السيطرة على المصير بمسؤولية تامة حتى جعلت ارادتها فوق مشيئة الاقدار « فلا بد أن يستجيب القدر » كما قال الشامي . وتأكد هذا الايمان بالانسان في مصارعة المواقف الجبرية التي كانت توكل كل شيء الى القضاء فصار « يمكن الخروج عن سلم قيم مركز على معنى الله الى سلم قيم مركز على معنى الانسان » (1) . ويخرج أبو هريرة من « ضيق محبس النفس » الى « كثرة اليم » ليعمل مع الجماهير عساه يحقق فيها وبها الذات الانسانية في أشمخ

(1) مع الاستاذ محمود المسئدي كاتب الدولة للتربية القومية « - حديث مع أسرة مجلة التجديد - السنة الاولى العدد الثاني - مارس 1961 . .

صورها . ويطلع على « أحياء العرب » بكلبه وعصاه في هيئة بين الرسول الهادي - وله جنة - والزعيم السياسي . وكان الناس من شدة المجاعة كالحوش تنقاتل على جيفة وقد قومت ظهورهم كثرة السجود لرب السماوات يركلن الى الامر في « اسلام » جبان وفرط الركوع لآله الارض يستبدلن عليهم وسوسونهم . « حكمة » الرومان القديمة : « جزلة من رغب ولعبة تلهيهم كالصبيان » . فيستفز أبو هريرة فيهم العزة بالانسان ويدعوهم باسم « مذهب غريب » الى الارتفاع - مدى قامتهم قامتهم البشرية - الى السلام والاحياء والقوة والبناء أو يخطب فيهم كالمهيج الثوري : « هاته الارض نحن خلقناها وهاته السماء نحن رفعنا عمادها فأقمناها فهل ملكتم من خيراتها شيئا ؟ ... حجبا الشمس وفيها لكم نور به تهتدون ، وأمسكوا عنكم العيون وفيها لكم حياة ، وذبحوا عنكم البقرة الصفراء . وقالوا ما يولد منكم اليم غدا نأكل جهله ونمتص دمه وما حرثتم اليم الى أفواها من الساعة سنأبله . وقالوا : نسائكم لنا امامه وأرواحكم مرعى أيها الضعفاء ... » برن الكلام كأنه مقاطع قرآنية أهي آيات « كتاب » جديد ؟ آيات : « سفر القفر والثورة » كما قد يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي ؟ فبدخل الجائعين جنته ويشبعهم من خيراتها ويخرج بالمستذلين كتابا ناثرا على الطغاة توقدها « حمراء » ونفسه ثملة بطرة من الفعل ومنجزاته ولكن بعد سنتين من المعاناة يخيب سعيه مع الجماعة خيبة تلقى به في قاع اليأس من الناس ومن نفسه « وكان

ذلك أول انحداره الى نجه « فقد وجد الجموع » أحقر  
من بعض « نفوسهم شر » في ضراوة الذئاب - كما قال عنهم « هبس »  
من قبل - وهن « لا دواء له وهم ان استحقوا » الرحمة « فلا يجوز  
« الايمان » بهم .

لا أرى أبا هريرة « الرسول » في خيبته مع الجماعة الا صورة أخرى  
من « النبي المجهول » :

أيها الشعب ليتني كنت خطابا فأهوي على الجذوع بفاسي  
ليت لي قوة الاعاصير ان ضجت فأدعوك للحياة بنبسي  
ليت لي قوة الاعاصير . . . لكن أنت حي يقضي الحياة برمس

« لكن » ! كل المشكل في « لكن » هذه التي وقفت في النص كما  
وقفت في الواقع جدارا منع في وقت ما بعض كبار أدبائنا - وكانوا اذاك  
شبابا نائرين - من تعميق علاقتهم بالشعب . لان الشعب « روح غبية »  
كما يقول الشابي و « العلد » « شر وهن » كما يقول المسعدي ؟  
لو قلبنا معنى « لكن » فجعلناها استدراكا على الاديبين لا على  
الشعب ؟ ألا يجوز أن تسامل على ضوء التطور التاريخي من النبي كان  
في الحقيقة « النبي المجهول » في ذلك العصر . هما أم الشعب ؟  
أما تحرك العمال تحركهم العتيد بين 1924 - 1926 ؟ فكيف يصّر  
« نبي » الشابي سنة 1930 على اتهام الجموع بالحماقة ؟ والمد العشي  
الكبير من 1932 الى 1938 ؟ وانفاضة 9 أفريل 1938 ؟ ألم يكن

في كل هذا إلا الفساد والقسوة كما يقول « رسول المسعدي » ؟ لو أردت  
أن أقسو على أبي هريرة لقلبت عليه بعض كلامه وقلت له ساخرا اذ  
يتسامل في القفر أليما وحيدا بعد فشله : « أو هكنا بزني الدهر بالامل  
البكر ؟ » : « لو كنت عشت في مستقبل الدهر لقرأت ما سيكتبه التاريخ  
من ملاحم « أحياء العرب » صارعوا استعمارا كان ييلوك « الحتم »  
- ولعله من حيث لا تشر حقيقة « الموت » التي كان يسد عليك  
الائق - فكسر نظامه وفتح ل « لأمل البكر » - ولك أبا هريرة - سبيل  
التحقق . فان لم يتحقق الامل كله بعد ذلك فالمسيرة لم تنه . اذن معنى  
هذا التضارب الشديد بين التصوص والواقع المسابق لها ؟ فهو ان دل  
موضوعيا على شيء فانما يدل على أن المسعدي - كالشابي - ما كان  
يعنيه تحليل التجربة التاريخية على حقيقتها بقدر ما كان يهمه أن يؤكد  
موقفا ذاتيا متأزما استوحاه من فلسفة ما . فلسفة « نيتشه » وكان من  
أتمته في التفكير - ولم يؤثر في الشابي الا بطريقة غير مباشرة . وهي  
ترتاب في « الكثرة » ارتباطا شديدا ولا تؤمن بغير الافذاذ الا واحد ترى  
فيهم مصادر القوة في التاريخ والروح في الجموع : دعوني أيتها الاجساد  
ليس لها روح غير ما سلبن من روحي ! . هكذا الجماهير والنساء لدى  
أبي هريرة سواسية جثت خاوية وما الروح كل الروح الا هو ؟ عجب  
رومي ! كالنبي لعب برأس الشابي طويلا

الويل للدنيا التي في شرعها فأس الطغام كرشة الرسام  
ويحضرنني - ردا على معنى هذا البيت - قول ماثور عن بعض

شخصيات الكاتب المسرحي الألماني «برتلد برشت» ولولا نظرفه في المنحى المعاكس لهفتت به « الويل لشعب يملك ابطلا ! ». ومس عندنا رؤوسا أخرى في الادب والسياسة فغلطها في حقيقة جدواهما تاريخيا بقدر ما حجب عنها فاعلية الجموع . وبعد أليس اذا لم ير أبو هريرة - بعد « النبي المجهول » - من وجه الشعب الا جانب الظلام قد نظر اليه بعين واحدة لان الاخرى مأخوذة بنو « اناه » المتشامخ ؟ على أن الشامي انتهى قبل موته الى الإحساس بأن الشعب قوة من قوى الكون فكفر عن « النبي المجهول » بقصيدته الدائمة « ارادة الحياة » فالتأمت « رشة الرسام » « بفأس الطعام » وأما المسعدي ؟ فأمره محير . فهو يحكم على لسان أبي هريرة بيطان « العمد » وفي الوقت نفسه يهدي قصته ( في المخطوط ) .

الى هذا الجيل من البطولة حياته !  
الى روح تونس الخالدة أرض المرح والنار !

تجاذب بين المبادئ وقوة الواقع ؟ وهناك ما هو أغرب . فكرة المسعدي في الجماهير لم تتغير الى اليوم لانها عقيلة فلسفية وليست نتاج ظرف عابر . ولو شاء لامكنه أن يقدم قصة بمثل ما قدم به مسرحيته « السد » . « هذا كتاب كتبه في عهد انفراد وتأمل وامتحنته بعد العشرة والعمل مع الناس سنوات فلم ألفه تنكر لي ولا أنكرت منه فأجرحته على علاته » .  
انظر الى حديث « الجماعة والوحشة » وقد جعله الكتاب تنويجا

للتجربة الاجتماعية فهو لا يقل تشاؤما من بني الإنسان عن سابقه حديث « العدد » وبينهما مسافة 34 سنة ... شبيء مدهش اذ هو الحديث الوحيد الذي أضافه الكاتب الى النص الاصيل قبل طبع القصة كاملة . شبيء مدهش ! مع أن المسعدي كان بعد « عهد الانفراد والتأمل » قد التزم قضايا بلاده ونحاض صراعات عصره مثقفا عنيذا قاوم الاستعمار على الجبهة الفكرية مع أسرة مجلة « المباحث » المشهورة ومسؤولا نقائيا كبيرا واكب جماهير العمال في نضالهم ووزيرا للتربية القومية غداة الاستقلال أرسى سياسة التعليم على دعائم ديمقراطية وعصرية أفلا يعتبر كل هذا الا مغامرة فردية لا ساس لها يعمل « الكثرة » ؟ ألم يكن محمولا بقوة الحركة الجماعية ؟ المسعدي يعرف الحجة عليه ولكنه حسب لغة العقود « بصروبووقع » على مذهبه .

وبرتد أبو هريرة الى نفسه وقد تقطعت وشائجه بالناس ليعيش - حتى وهو بينهم - في وحشة لا تطاق يعاني آلاما باطنة تذكرها فيه ذكرى الموت منذ الصبا : ذكرى أخيه الصغيرة عذبتها الآفات ثم ذهبت بها باكرا و « حسيه الشيطان » « فقالوا هو الله » . وتتسلل الخلال الى منطق الحياة حتى صار أبو هريرة لا يرى فيها الا « وجه حق باطل » : عبثا ولا معنى يشتمل عليه من كل ناحية ويصليه بنار حميمه فيبكي « من القضاء » أو يشرب ليدوخ . ثم يفر بمشاكله المستعصية الى الدين لينتمس فيه « الغيبة » ويرقى الى « دبير العذارى » وهو منفصل عن الارض تقربا للسماء فيسأل رهبانه طريقة الفناء في ذات الله وكان « بمن ذهب ايمانه وحلت حيرته » فيعتكف صائما ويمعن على طريقة المتألهين

من النصارى - في تعذيب جسده نمرقا بالاظهار لعه يخلص منه ومن مقتضياته الى الملكوت فينسى الارض وطينها . ولكه يطلب نفسه بعد كثرة الصلاة والنسج فيجد حاضرة بكل أنقالها واذا هومع ظلمة في الشيطان بملائن المحراب فجورا - كأسف وثالفة - وقد أدرك أن الألف لا تقام اذا هوت ، وأنه ما تناسى المره الجسد الا أكلته الخيالات ، فكانت مغامرته مع ظلمة على عكس مغامرته مع رحمة فهذه أغرقته في الحس حتى اضطرت فيه أشواق الروح وتلك أوغلت في مراقبي الروح حتى فار في الجسد . ويقفل أبو هريرة معلقا بين الروح والجسد والسماء والارض لا يجد في ذا ولا في ذلك كامل ذاته .

وتدخل أحواله بعد ذلك في تأزم شديد يدور في حلقة مفرغة من الاشكال ولا يجد مغذا يجري كالماء لا يقر له قرارا من شدة الحيرة صامتا كالعمى ضاع وعجز عنه الكلام ، كالعقلة التي أصابت لسان الغزالي في المنقذ من الضلال ، أعمى ، ضاعت ، قبلته ، بعد موت الجهات الست ، فتجرد العالم من كل دلالة وتفيض روحه شيئا شيئا عن حدود الدنيا وترتج به الى التجاوز فلم يبق له الا أن يجرب حكمة الجنون ، على غرار أبي رغال . وما أشبه أبسا رغال بسوس قومه بمنطق البعث الى حد الظلم الأزرق بكلية ولا جعل حصانه عضوا في مجلس الشيخ يستشيره في مصالح الناس وقضايا البلاد . فهل معنى البجة في أن لا معنى لها ؟ وهل العقل ، في أن يواجه المره بطلانها بالعه ؟ ويجفل أبو هريرة

من هذا المأل وقد أشرف على تخم الجبال . ولكن المأساة نفل تطحنه حتى ليسر في الشوارع كالميت بين الاحياء يسأل المارين صفة تفتله فتحيه ، وهكذا بعد البعث الاولي ، الذي فتح بصيرته على الوجود وقع على الدنيا فأقنأها ، دين أن بصيب امتلاء فهو الآن أشهر ما يكون بنقصان الكبان ورغم كثرة المغامرات فما وجد حقيقته ، كاملة لا في الجسد ولا في الروح ولا في الوحدة ولا في الجماعة ولا في العقل ولا في الجنون يدرك أنه اقتنع بأن الانسان كائن أثير محدود بحدود ، منزله ، في الوجود ولا يكتمل الا بتخطي عالم النسبة الى لا نهاية المطلق وهذا ما انتهى اليه أبو هريرة بالفعل في خاتمة مسيرته عند غروب شمس آخر يوم من أيامه استجمع فيه ذكريات ما فات من وقاته في الدنيا : الولادة والموت وفتنة المرأة وحماسة الناس ثم ضرب عتق الزمان ، وه خرج من الظلمات الى النور ، في ساعة الغيب التي انسا يخرج فيها سائر الناس . كآسي المدائن وهو صوته قبل البعث الاولي . من ضوء النهار الى عنفة الليل . يناديه ، الحق ، في خلاء جبل أصخر شاقق أن يتسامى الى سحبه ، فبهز أبو هريرة قرنه وينطلق مليا وما هي الا أن تفرقع الصخرة هاربة وتصل الدابة من الام ويصبح أبو هريرة فرحا حتى يدغم على المكان ظلام موحش . انتهى كل شيء على مقربة من أبي المدائن . رمز الرجل العادي . وهو ميهوت أمام هذا المشهد الهائل وكأنه يحضر مأدبة شياطين . وه غاب ، أبو هريرة في أوضاع الكين .

خواتم المسعدي في كامل آثاره متشابهة . كلها تعتمد معنى واحدا : الجور . في شكل غامض . الى عالم آخر لا تعرف أين يقع هكذا

9 أبريل 1938 : يوم في التاريخ تهشمت على عنفه الموجة فانطلقاً في الاشياء ضياعاً وتلطخت آفاق البلاد بالسواد وما لبثت آفاق العالم بأسره أن تلوّثت هي أيضا بدخان كثيف انبعث من حرائق الحرب وخرايبها . تشاؤم أبي هريرة من قنامة ذلك المناخ واذ ضاق ظرف الزمان عن الاشواق بثست من الواقع وانقذت خارجه نحو المطلق والابد . تلك قصة الافاق على التاريخ بين فرحة الاندفاع وأوجاع الردة من قبل أن يعود الموج الى التدفق نحو الاستقلال . على أن هذه القصة وان انبثقت دلالاتها من واقع عصرها في تجاوز مستمر لذاتها تصير مع الزمان ولا تكون . فهي ككل أدب حي منتهية متجددة : منغلقة - من حيث هي أجوبة نهائية - على رؤية صاحبها وإيمانه بأن المأساة حقيقة الانسان في الكون ومن حيث هي أسئلة جذرية عن معنى الوجود مفتوحة على القراء اليوم وغدا تخض الضمائر حتى لا ترضى أبداً بالواقع المعطى وتحفرها افراداً ومجتمعات الى تبديل الحياة جيلاً بعد جيل وأفضل فأفضل .

والقصة ، أخيراً ، على السواء مغامرة وجودية جريئة وتجربة قصوى في الكتابة . فكما بعث المسعدي أبا هريرة اسماً ومعنى من أعماق الماضي كذلك بعثه شكلاً وأسلوباً في تناسق فني متين . فبيننا خير كتابنا يكدون قرائحهم لتملك وسائل الرواية الغربية وقد يشوا من موروثهم القصصي واقتنعوا بأن لا معاصرة الا ما صور الغرب ، رفض المسعدي أن ينقطع عن أصوله الثقافية ليغترب في صياغات الغير وأصرّ في عناد شديد . وكان الوحيد - ألا يتقدم في العصر الا مستمراً مع ذاتيته الحضارية . ولا يؤسف شيء كأن يرى الادب العربي الحديث في جل مدارسه صورة هجينة من الاداب الاروية فلا يزال يلح على واجب الترفع عن ذكّة

حملت الرياح غيلان بعد انهيار السد و « حوت طهارة الاعماق » السندباد بعد أن اختنقت نفسه « بتوتة » الوجود كذلك ابتلع الكون أبا هريرة . أما ان الكاتب بجعل « انتقال » أبطاله عن دنياهم بهالة من العظمة فهذا ما لا شك فيه ولكن القارئ يظل حائراً في معنى هذه « النهايات » لا يدري أهو عظمة الانكسار أم عظمة الظفر . وانه ليلو من المتناقض ألا يحق هؤلاء الابطال انسانياتهم تامة الا بخروجهم عن بشرتهم . ومن ثمة تبدأ نصوص المسعدي - على اختلافها - ملاحم تشيد بقوة الانسان وتنتهي مآسي تؤكد حدود تلك القوة فكأنما الانسان عاجز مهما جهد عن تبديل وجه الحياة جذرياً . وبعد فرأى المسعدي أن « الادب مأساة أولاً لا يكون مأساة الانسان يتردد بين الالهية والحيوانية وترّف به في أودية الوجود عواصف آلام العجز والشعور بالعجز أمام نفسه » (1) .

أفلا يكون شرف الانسان الا في المحاولة أبداً ؟ أخشى أن يقع الكاتب من حيث لا يحب في أسطورة سيزيف « مع فارق جوهرى هو أنني لا أضع « مأساة المغامرة الوجودية » في اطار « العبية » بل في اطار « بطولة الاصرار على الجهاد ولو ضد المستحيل ولو مع تجدد الانهزام وتكرر الاندحار » يجيب المسعدي .

بلا جدال أبو هريرة صورة مثقف وعى ذاته ورياح العصر تدفع المجتمع الى التقدم والحرية فانطلق ينحت له بين الزهو والجذل مثلاً جديدة تشيد بجلال الانسان وقدرته على صنع مصيره . ثم اذا السعي الجسور يتبدد في مناه اللامعنى وتذوب في « الام العجز » شوة الخلق .

(1) « أبو العنابة » - مجلة المباحث - العدد 12 - 1944

الحاكي الى عزة المبتكر وبقينه أن التجذر في التراث هو الكفيل وحده  
بتمكين العرب من مشاركة الأمم الأخرى في الابداع ، ابداع قيم  
الفكر وأشكال الفن . وكل ما كتب ، وأبو هريرة بالخصوص ، رهان  
كبير على ذلك . عاد الى اعماق التراث فاستمد منه أعرق أشكال  
السرد عند العرب : الحديث أو الخبر لا ليقلده بروح سلفية عقيم بل  
ليعيد اختراعه بقوة الذهن الحديث . فخلافا لما وردت عليه الاحاديث  
في التصانيف القديمة من ساذج النظم وزعها المسعدي في قصته  
حسبما تقتضيه أحدث أساليب البناء القصصي . ففصلها على المواقف  
وحدات منقطعة تتداعى معنويا أكثر مما تتلاحم زمانيا لأنه كسر خط  
الزمان وتصرف فيه طردا وعكسا بما لا تنكره آخر تقنيات « الرواية  
الجديدة » ( والقصة ألفت سنة 1939 ولم يتح لها أن تنشر كاملة الا سنة  
1973 ) . وركب تلك الوحدات عروضيا بين طوال وقصار كالاسباب  
والأوناد في التفعيلة الخليلية . يمتد النفس السردى في المغامرات  
الكبرى ويتقارب متسارعا كاللهاث في أشد فترات الحيرة والتأزم .  
فكان القصة كلها بيت من الشعر يوقعه بحر مستنبط من روح العصر .  
وتفنن المسعدي في ايراد حوادث القصة بتعدد روايتها . فاتخذ من  
الأسانيد التقليدية زوايا ينظر منها الى حياة البطل من بعيد أو قريب  
والخارج والداخل ومن قبل أو من بعد . وتتضارب الأقوال أحيانا  
في الحديث الواحد كما في «حديث الطين» فتختلف اذك على أبي هريرة  
الأصواء وتتقاطع حتى تعمض الرؤية عمدا . وتلاعب الكاتب بأوقات  
الرواية كما تلاعب بأوقات الاحداث لمزيد التنوع في البناء . خذ لك  
مثلين : «حديث الوضع» و«حديث الوضع ايضا» وهما في موضوع واحد

علاقة أبي هريرة برحانة ، وتلاحقان في ترتيب الكتاب مباشرة ، فبينما  
الاول حدثت به رحانة بعد وفاة صاحبها كما يشهد بذلك ترجمها عليه  
في آخر الكلام سرد الثاني أبو هريرة « في آخر عهده بالدنيا » . فالقصة  
تجري من أولها الى آخرها على زمنيين : زمن الوقائع وزمن روايتها والمدة  
بينهما تتفاوت من خبر الى آخر كما في المثلين المذكورين : زمن الحديث  
فيهما واحد وزمن الحديث اثنان قبل موت أبي هريرة وبعدها .  
ويتضاعف زمن الرواية بتضاعف المحدثين في السند : « روي عن أبي  
سعد ، قال : حدثت رحانة قالت : ... » ويدهي أن تكاثر الأزمنة  
يكشف القصصية في الخبر لأن كل راو - وهذا أعجب ما في وظيفة  
السند - حكاية مسكوت عنها في النص . ف « حدث أبو المدائن قال :  
... » قصة مضمرة تترك لك حرية تخيل تفاصيلها وهي قصة ظروف  
رواية الخبر وتشتمل عليه كاطار له . كل متن في الخبر يندرج في اسناده  
كقصة داخل قصة ودائرة في دائرة أوسع . هذا اذا كان المحدث واحدا  
أما اذا كان اثنين : « حدث مكين بن قيمة السعدي قال : حدثني  
هشام بن أبي صفرة الهللي : ... » تشعب تركيب الخبر فصار قصة  
داخل قصة ودائرة في دائرة أوسع في دائرة أوسع ( تمثل الأمر سينماتيا  
تدرك حقيقته ) . ولا تنقل آخر دائرة في النص الا انفتحت أخرى  
خارجه لأن سلاسل الرواة تفضي الى الكاتب ومنه البنا فيصبح القارىء  
بدوره من المحدثين ... وحلقة في اسناد القصة . وما أنا الآن الا من  
رواتها وهذا التقديم قصة أخرى عنها . أبو هريرة - شكلا - قصص  
مضاعف : قصة تتولد عنها قصص تذيبها ولا تنتهي الا أن تموت هي .  
وكل الرواة داخل الكتاب وخارجه كصوت الذاكرة الجماعية يردد

الشمس في الوثنية الجاهلية : سلاسل من الدلالات تذهب في كل  
وجهة ولا تنتهي. لغة المسعدي لغة «جمع» لا تقول شيئا الا أوحى بأشياء  
ف وراء الصمت الظاهر كالضجة تداخله فتكتف الابلاغ . وبلاغته  
أسلوبه في تصريف الأسماء ، وأسماء العناصر الاربعة بالخصوص ،  
شبهكات من الرموز متداخلة كالشرايين تتفاعل خلالها المعاني فتتناسل  
وتتكاثر بلا حد .

أبو هريرة من أقوى نصوص أدبنا المعاصر ، كتابة متجذرة في  
صميم التراث تختبر في جرأة عجيبة طاقة أشكاله وأساليبه على أدا  
روح العصر ، نموذج من الانشاء الفني المبكر ورهان كبير على الثقافة  
العربية وقدرتها على الخلق الاصيل .

### توفيق بكار \*

ديسمبر 1978

على الأجيال أسطورة رمز كبير . هذا ما فعله المسعدي بالشكل وفعل  
مثله بالاسلوب . تلقى عن كبار النثرين القدامى لغتهم الأثيلة فعدل بها  
عن موضعها وولدها كلاما آخر . فهي تتحرك في النص مشحونة بمادة  
الفكر الحديث ومثقلة في الوقت نفسه بتالد معانيها ، قديمة جديدة .  
وقد وقف منها الكاتب موقف الشاعر فحاطبنا بها على أسلوب الاستعارة .  
بث فيها من خياله الغريب مجازات يلتقي فيها الحسي بالذهني فجأة  
على بعد المسافة بين السجلات : « والوهج يأكله ( أبا هريرة ) أكل  
الحسنا للغة » - « وكان كلما انتشر في خواطره سجا كالبحر وشاع  
كالدهر وامتد » - « فكان حديثه رجح غيب بعيد » وعشرات آخر  
وليست من « المحسنات » بل هي موظفة في كنه المدلول تختله في  
صور قوية . فان وجد أبو هريرة ، للرمل « كمس لطيف النهود » فلأن  
الرمل سيبله الى جسم الفتى العاري ويصبح جسم الفتاة بدوره « رقيق  
الرمل بجري بين الاصابع » . المرأة أرض والأرض امرأة « وتصورت  
لي بكر من الأرض تدعوني » دلالة على اندماج الانسان في الطبيعة  
والطبيعة في الانسان وبذوان معا في وحدة الوجود وحدة شهوانية تقطر  
لذة جنسية كعناق العاشق والمعشوق . وكتابات المسعدي مبطنة برغبة  
جنسية محمومة وليست مفاتيحها في يدي . وفضلا عن الخيالات  
فعبارة المؤلف كلها اشارات لا تكلمنا بالمعنى بل بمعاني المعنى اذ هو  
« ملتزم للرمز اجتهادا » كما يقول وحريص على أن يجعل الجملة  
« حبل » . رأيت كيف سافرت بنا النار « من معنى الى معنى فانظر  
الى « الشمس » كيف تنصرف الى مشتقات شتى : فجر البداية وغروب  
النهاية ووضوح التجلي أو روح الكون ومعبود القراعنة راع أو اله عبد

\* من وجوه الحياة الثقافية في تونس . استاذ جامعي يدرس الادب العربي المعاصر  
في كلية الآداب والعلوم الانسانية . معروف بحسه في النقد الحديث ودراساته

# الفاتحة

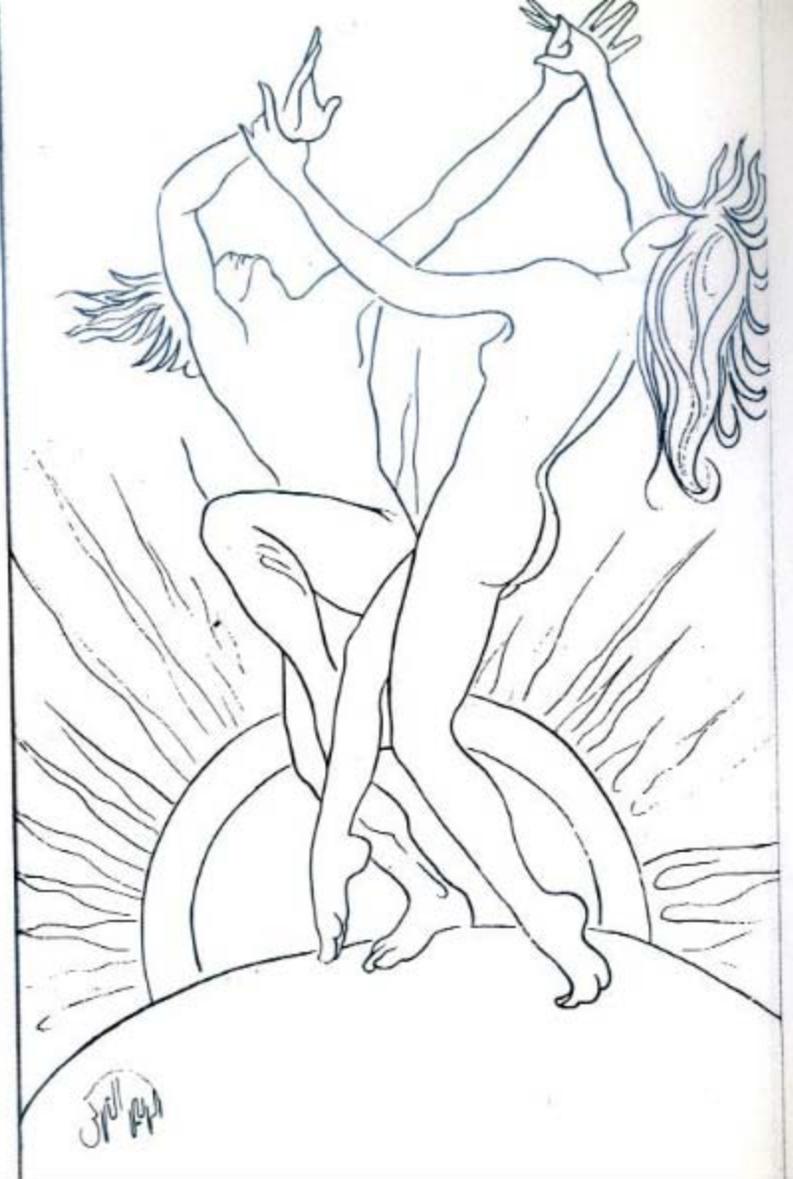
طلبتُ المُستقرَّ بكلِّ أرضٍ فلمْ أَر لي بارضٍ مُستقرًّا  
( ابوالتاهية )

حديث البعث الأول

« ستعلم يوم تُبثّ من بين الاموات ... »  
(إِسْآن)

حدث أبو هريرة قال :

جاءني صديق لي يوما فقال : أحبّ ان  
أصرفك عن الدنيا عامّة يوم من ايامك ، فهل  
لك في ذلك ؟ فقلت : ان وجوه الانصراف عن الدنيا  
كثيرة : واحب ان تُعرّفني أيها اخترت لي . فقال : اخفها وقعا  
على النفس والذّها مسأغا . قلت : اني أخاف أن  
يكون انصرافا ليس بعده عود ، ولست متهيئا  
للرحيل . افلا سبيل إلى الافصاح ؟ قال : لا . وضرب  
بكفّه على كتفي . قلت : اذن يكون ذلك متى ؟  
قال : غداً .



فلما كان من الغد سبق الفجر المي . وكنت  
لا أعهد مبيكارا . فاستغرت في تلك الساعة . وقلت :  
هممت ان أقسم أنك لم تبكر كيومك قط . ما الذي  
عجل بك ؟ قال : ننصرف لساعتنا . قلت : مهلا  
يا عافاك الله . فاني لم اتوضأ وقد تبين الخيط الابيض  
من الخيط الاسود . نتوضأ فنصلي ثم ننصرف . فقال :  
لو فعلنا لفاتنا خير كثير . دع الصلاة اليوم فإله غافرها  
لك ، ولنذهب فليس منه بد . فلم أجد الا القيام  
معه . فقمنا وانا استغفر الله واصلى من ثيابي .  
فذهب بي إلى بيته ، وكانت بفنائها نجيبتان مرحلتان ،  
فقال : اركب هاته . ففعلت وركب الاخرى .

ثم خرجنا من مكة وانصرفنا عن طريق القوافل ،  
وسرنا سيرا حثيثا حتى اصبنا الرمال وجعلت النجيبتان  
تغرسان وتقلعان فإذا خطاهما لينة عذبة كأنها مس

خفيف : ونحن نضوب ونصعد من كتيب إلى كتيب .  
وكننا في غير اذ قال : الآن نترجل . فقلت :  
والله ذاك ما كنت أريد : فقد أخذ مني الرمل ولونه  
ولطفه . ثم ترجلنا وأنحنا راحلتينا وعقلناهما وجلسنا على  
الرمل . فجعلت أضرب برجلي واقلب يدي فيه فاجد  
منه كمس لطيف النهود ، وكانت قد نامت فيه  
برودة الليل فهو كاليقين بعد الحيرة . وصاحبني مستقي  
مصبح كأنه يتوقع سمعا .

ومضت ساعة . ثم اذا هو يومئ بيده أن اصعد  
في الكتيب . فصعدت فرأيت على رأس الكتيب  
المقابل من وجه الشرق شبحين . وكان عاليا فكأنهما  
على صفحة السماء المبيضة . وقال لي صديقي : انظر  
ولا تنكلم . وتبينت الشبحين فبين لي فتاة وفتى ،  
في زي آدم وحواء ، ممدودان جنبا إلى جنب متجهان  
إلى مطلع الشمس ، وكانت على وشك البزوغ فالشرق  
كلهيب النار .

ثم بدت من الشمس بواحدٍ نور . فإذا الفتاة ارتمت  
وقامت كأنها الظبية احسّت بالنبل . وجعلتْ تَهْمَمُ  
بالشرق فلا تخطو الا خطوةً ، ثم تتراجع وترسل  
يديها إلى السماء والشمس ، كأنها تروم ان تدركهما ،  
ثم تتراجع بهما في هيئة من الرقص كأنها الغصن  
بهزه النسيم . وسكنتْ طرفة عين . ثم عادت في  
الرقص إلى مثل حركاتها الاولى . فرأيتها لسانًا من  
الرمل قائمة على رأس الكتيب ، وكأنها وُلدت منه أو  
ذابت فيه . فهي رقبق الرمل يجري بين الاصابع .  
وأرسلتْ إلى ذلك صوتها بالغناء . فكان يترقق في  
حلقها ، ويرق لرنين يديها وئديها وكامل جسدها ،  
ثم يتراجع بتراجعها حتى إخاله سگن . ثم تعود  
فترقص وتغني :

سلام على الروح  
سلام على النور  
يسري على يسر  
سلام على الفجر

حتى كأن صوتها ورقصتها في الاندفاع والتراجع  
ابتسامة السرور أول نشأته . ثم سكنت وبداهة إلى  
الشمس البازغة واحدى رجلها مرسله كالرمح المصوب  
في الهواء ، كأنها تهتم ان تطير ، فكأنني بها قد  
انفصلت عن الارض وطارت . ثم انفجر صوت  
مزمارة في قوة وروعة . وارتمت الجارية ترقص في سرعة  
وشدة . واذا المزمرة الفتى ، وقد قام فبدا على وجه  
السماء المشتعل كالصنم الحي . وجعلت الفتاة تدور أو  
تقف ، وتقوم أو تهبط ، فتقع في هيئة الساجد فإذا  
هي قائمة ، أو ترتفع فإذا هي ساجدة . فكأنها دخان  
كاذب أو سراب خلب أو خفة ولا جسد . ثم انقضت  
من صوت المزمارة قوته . فارتدت رقيقا حتى كأنه وحي  
من الله أو همس الشياطين . وسكنت عن الجارية سرعة  
الرقص ، فصارت تشتتى بثني الصوت وتتهادى  
لتهاديه وتبطن الدور لبطنه ، حتى رأيتها أصبحت  
ذوباً في الهواء أو سگنها نفس من النسيم فهي في لينه .

ودام ذلك ساعة ، فرِحْتُ له أربحيةً عذبة ،  
وصرفني عن صديقي وهزني الطربُ . حتى كدْتُ  
أخذُ في الرقص من حيث لا أشعر . ثم دقَّ الصوتُ  
حتى سكن . وإذا الفتى قد وثب إلى الجارية ورفعها  
من حصرها فبدتْ على يديه ممتدةً في الهواء وبداها  
مقرونتان في هيئة المقبل على البحر أن يغوص فيه ،  
والشمس ناشئة تكسوها . ثم حطها الفتى إلى الأرض  
فتعانقا وصوَّبا في الكتيب يرقصان معاً ، حتى  
حجبهما عنا .

• •

ثم التفتُ إلى صديقي فإذا هو يبكي احراً بكاء .  
فقلت : والله انك لغريب الاطوار : أتبكي وما في  
الامر غيرُ الفرح ؟ فقال : اتعلم يا أبا هريرة ما  
قصتهما ؟ قلت : لا والله وان بي لشغفا إلى ذلك .  
فقال :

ضلت لي مرَّةً نجيةً كانت أحبَّ ابلي واحسنها  
عندي . وافتقدتها فذهبت أقصُّ أثرها ، وكانت  
الساعة الضحى ، فإذا هي قد قطعت مسافاتٍ حتى  
وقعت على ماء هو وراء هاته الكتيان . فأتيته فرأيت  
تينا وعنبا وخيرا كثيرا . وجلتُ فيه فلم أجد به حياً .  
وذهبتُ اتبين أثر الناقة حتى وصلتُ عرشا من سعف  
النخل ، بجري بقربه ماء وفي الماء تين وعناب . ثم  
إذا أثر انسان أو اثنين . فبينما أنا استغرب ذلك وافكر  
في من يكون على هذا الماء وليس له بيت ، إذ سمعت  
غناءً . فصرفتُ وجهي إليه ، فعنَّا لي منحدرين من  
كتيب ، وهما يرقصان ولعبان وغنيان . فلما قربا مني  
وجدتُهما عارين ، وكدتُ اراهما من الشياطين . ثم  
سبقتُ الجارية صاحبها الي . فاقبلتُ علي في خفة  
الهواء ، فاخذتُ بيدي فانزلتني عن راحتي وهي  
لا تفكُ تغني . وكانت والله من حسن الصورة واشراق  
البشرة فيما لم أر مثله قط . ثم ارادتني وقالت : كُنْ

زهرةً وغنّ . فلم اتمالك والله عن الضحك وقلت :  
مالك ؟ أجننت ؟ دعيني . وتراجعتُ تخلصاً منها .  
فتركتني ، وطفقتُ ترقص وتغني وبغني الفتى وأنا أنظر ،  
حتى دخلني من ذلك طرب شديد . وادركت أنه سلامٌ  
وترحيب ، فاستأنست وقلت : والله لا أنصرف أو  
أعرف قصتهما . وذهب عني أمرُ الناقة . فبقيت  
حتى سكنا .

ثمّ جلسا واجلساني ، وجعلا لحمًا مشويًا وتمرا  
وعنبا وتينا بين يديّ . وقالوا : كُلْ هنيأ فهي سرورٌ كلها .  
ثمّ تحدثنا ، فإذا هما على أدب كثير ، يرويان من  
الشعر ويقولانه ويقصان من ايامنا ويصنعان على البديهة  
من الاصوات ما لم أسمع والله أمتع منه . فسألتهما في  
انقطاعهما عن الناس ، فقالت الجارية : دُعِيَ الناسُ  
فلم يأتوا ودُعِينَا فجنّنا . فاقبلتُ على الفتى كالمستفسر .  
فقال : نعم . دعوة الدنيا ، دعوة الكون . ترى هذه

الاشجار وهذا الماء وهذا النور وهذا الفضاء وهذا  
الخلأ ؟

ثم قاما عني . ولم يسكنْ بهما الرقص ولا الغناء ولا  
الجدلُ وأنا اتمتع بالنظر اليهما ، حتى مضتُ لنا في  
ذلك ساعة . ثمّ ذكرتُ شأني ، فانصرفتُ وصوتاهما  
بشيعاني بما لن أنساه أبدا من بديع الغناء . وقد  
اكلا ناقتي وآكلاني منها فما كان فقدانُ أطيبَ  
من فقدانها .

وقد ذكرتُهما بعد ذلك كثيرا ، وعدتُ لاستماعهما  
والنظر اليهما خلسةً أياما ، حتى نشأ لي منه في النفس  
كالشوق إلى الجنة وكرهت حياتي بين الاموات .

وسكت صديقي ، فإذا هو قد عاد اليه البكاء  
وكان سكن عنه . ثمّ قمنا وعدنا إلى مكة .

وبقيت عامّة يومي مصروف البال إلى أمر الجارية  
وفتاها وشأن صديقي فيهما . فلما كان من الغد  
جمعتُ عزمي وأعرضتُ عن الدعوة وعدتُ إلى  
الصلاة ففَضَيْتُهَا واستغفرتُ الله . وكان آخر عهدي  
بصديقي . فقد سألت عنه بعد أيام فإذا هو قد أخذ  
جاريةً جميلةً وترك أهله وذهب إلى حيث لا يعلم  
أحد . . .

فذهب ذلك بما تصنَّعتُ من العزم ، وكان  
البعث .

حديث المنع والمجد

حدث رجل من الانمار قال :

كانت ريحانة من سبايانا . سباها في بعض  
غزواتنا بالحيرة رجل منا يقال له لبيد ، وهي لا  
تزال صغيرة مُرسلة الشعر . فنشأت فينا . وكانت حسناء  
غريبة الحُسن ، كأنَّ في عينيها نارا وفيها ماء حميما .  
فارادها لبيد في يوم من أيام الربيع ، وقد تبرجت  
كُعباً ، فدلكت ولاعبته ثم امتنعت وقالت : ظمأ  
على ماء مرقوب خير من ارتواء . ولم تزل به حتى كاد  
يُجَنِّ . ثم اقبلت على شبان الحي ، وكنت منهم ،  
غفر الله لنا جميعا . فكانت تعاشر الواحد منا ، ثم

ينفضخ كالدلو ويسقط لوجهه . ويحتمله أهله إلى بيته  
فبنام .

\* \*

وكانت ريحانةٌ تحدثنا فتقول : انا آخرة قومي .  
وقد اكلتهم النار جميعا . كانوا من وُلد البراء بن  
كيسان . وسكنوا العمان ثم خرجوا عنها بعد أن  
اصابت بيوتهم نار ذهبت بأكثرهم . فجاء من بقي  
الحيرة ونزلوا بها فاقاموا . فانهم بها اذ غزونا قبلهم -  
فاوقدنا نارا فأصابتهم فأتوا بها جميعا . وأدركها لبيد  
فوقاها النار وملكها . وكانت تحدث انه كان لقومها  
عن أساف ونائلة غير الخبر المعروف لا يُشركون فيه  
احدا . وتقول : ولم يبق اليوم من يعرفه غيري . فهو هنا  
مكون إلى يوم أموت . وتجعل يدها على صدرها فكأنني  
بنهديتها قد قاما واضطربا كرمال الكتيبان نشأة الريح .

تهجره إلى غيره . وكانت في ذلك تُلقني لنا فنبسط  
الايدي ، فتمسك عنا وتولي . حتى تهيجنا كغبار في  
يوم اعصار . وهو في هيامه بها لا يرى من ذلك شيئا .  
وانكرت نساء الحي فعلها . فحجرت لبيدا ، وهو يومئذ  
لا يزال على عقله ، فقلن له : انا خشينا ان يكون من  
ريحانة فتنة . أفلا تمسكها عن فتياننا ورجالنا ؟ فغضب  
لبيد وقام بربدها بعصاه . فقالت ودكت واخذته من  
يده : لو أعتقتني لكنت لك . ولكنك مولاي ،  
فليس لك من نفسي . فظننها لانت ومالت . فاعتقها .  
فامست ولم تصبح . فحجرت لبيد . فهو إلى اليوم في أهله  
بوادي حران ، يخرج كل يوم إلى سمرة هناك ؛  
فيجلس ويقول في ريحانة من الشعر ما لا يفهم ولا  
يحفظ . ثم يضرب على الارض بعصاه ثلاثا ثم يأخذ  
غصنا من السمرة فيجعله في فمه ، ثم يقوم فيسعى بين  
السمرة وبيته سعي الحجيج بين الصفا والمروة ، حتى

فخرجتُ لساعتي وانطلقتُ لشأني . وكان آخر عهدي  
بها في شبابها وشبابي .

ثم طواني الدهر وذهب اترابي في الحيِّ ممن  
يعرفون ريحانةً جميعا . وإنا انتجعنا قبلَ نجد .  
فزلتُ بنا امرأةً فاضافها بعض الحي . فسألتُ عنها .  
فقالوا : انها تقول ان اسمها ريحانة . فأمرتُ ان تأتيني  
فجاءتُ . فكانت هي والله . وكانت من حيِّ إلى حيِّ ،  
لا تسكن عن الترحال . تحدثُ عن ابي هريرة ولا  
تبكي ، وتقول : لقد جمدتُ عيني . وهي يومئذ قد  
ضرب الشيب في شعرها ، وذهب حسنُها الا نوراً منه  
في العين ، واصابت وجهها الاخاديد . وكانت لا تزال  
كعهدي ظريفةً لسنة طيبة الحديث . ولكنها اصبح بها  
كالبج ، تقول فكانما تبكي ، وليس على وجهها الا  
نفسٌ مسلمةٌ راضية .

ولما حال الحولُ على جنون ليبد حججتُ إلى  
الكعبة . فلما انتهيت من مناسك الحج كرهت ان  
يكون حجا بلا زيارة . فاني لمنطلق من مكة اذ رأيت  
على طريق المدينة بيتا منفصلا عن البيوت ، والناس  
يبس داخل وخارج . ولم أكن رأيت قبل ، فجئته ،  
فاذا حانوتٌ وعريضةٌ وغناءٌ ونبيدٌ وخنى . فانكرتها وانا  
على حالي تلك من العبادة . وبيننا أنا واقفٌ راحتي  
هناك ، اذ مرَّ بي رجلان منصرفان من الحانوت وهما  
في نبيد كثير . فقال أحدهما لسانه كالقصبه في  
الريح :

قفا نشكُ من ريحانة العين والحشى .

وقد ذهب عني شطر البيت . فقلت : لا أبرح البلد  
أو أعلم جليَّة الامر . فعقلتُ راحتي ودخلت . فاذا  
هي والله ريحانتنا تغني وتلقي إلى الناس فيسطون لها  
الايدي فتمسك وتعرض ، كما كانت تفعل بنا .

وكانت لا تتحدث عن ابي هريرة الا كان آخر  
قولها : رحم الله ابا هريرة .

حديث التعارف في الخمر

« رُؤَا عَلِيَّ الْكَائِسِ الْكَمَا  
 لَا تَدْرِيانَ الْكَائِسَ مَا تَجِدِي ،  
 « أَبُو نُوَاسٍ »

حدثت ربحانة قالت :

كنت في مكة . فذهبت لي بها شهور في  
 حانوتٍ . ثم كرهتُ الخمر وعريدته والغناء وما  
 كنت اصنع منه ، والكعبةُ على كسبٍ تُعْتَبِرُ وتُصَلِّي . فنفرتُ  
 اياما ، وصاحبُ الحانوتِ غاضبٌ عليّ ، واصحابُ الليل  
 والخمر اذا جنَّ يسألونه عني . فلما كنتُ في بعض  
 ليالي هَدَيْتِي أَرْقُ فلم اصبر عليه . فانسلت فخرجت  
 اريد المدينة . وكانت الساعة الغلس . فسرت راجلة  
 حتى ذهب بعض يومي ، وادركتني الهاجرةُ وعقلاني  
 النصبُ . فحامت عيني . فلاح لي وراء جبل دخانٌ ككلا



دخان . فجهدتُ وقصدتُ اليه . فإذا حيُّ الانمار الا  
اهلَ لييد . فترلتُ بهم فاكروني على انقباضِ فيهم .  
وجاؤوني بطعام طيب فأكلتُ وماء كالبرد فشربتُ .  
ثم اضطجعتُ فنمتُ نوماً طويلاً .

فلما استيقظتُ كان الليل قد اسود . ونظرتُ فاذا  
القوم في شأن لهم وقد ملكهم . فصحتُ بامرأة رجل  
منهم كان يسمي سعدا ، وكانت مقبلة على قنبر وقد  
ادخلت يدها تخرج منها الطعام ، فقالت : نزل بنا  
الليلة ابو هريرة ، ونحبتُ ان نكرمه . قومي يا هاته  
فسيكون منه كالمأدبة . فقمتُ فرأيت رجال الحي وقد  
اجتمعوا الى رجل لم اكن اعرفه ، وهو يتحدثهم  
ويضحك ضحكا كثيرا . فرأيتُه سكران وكان كذلك

ثم تهيأ الطعام ، فصُفِّف على بساط . وجُعِل عند  
سمرة هناك . وجلس الرجال فتأخر عنهم الرجل ،  
وقصد إلى راحته فأخرج زقا من الخمر وجاء به القوم .

فقالوا جميعا : آخفتيها ضناً ؟ قال : بل خوف ان  
تتوقعوا فتذهب المتعة . وجلسوا جميعا يأكلون ويشربون  
حتى ذهب لهم ساعةٌ ونيران الحي تخبر واصواتهم  
تعلو . وأهمني ان يكونوا في لهُو وابقى في قطعة من  
الليل . فقمتُ كالوالهة فسعيت ، فوقعتُ على الزق  
فصيت وشربت اقداحا . وصاح بي بعضهم : حسب  
الانمار لييد . وقام يرديني وقد اخذ منه الخمر . فقام  
له ابو هريرة ومنعني عنه وقال : دعوا الجارية تشرب .  
ثم دنا مني ولان وقال : ما اسمك يا هاته ؟ قلت :  
ريحانة . قال : انه ليس فينا الا حفي بك محب لك .  
فنحن نشرب ونحب من يشرب . ألك في قدح  
آخر ؟ واخذ الزق مني كأنما يريد ذلك . فإذا هو  
قد رفعه وصبه على راسي . فصحت وارتعت وقال :  
انظروا ريحانة الخمر . فانطلق اصحابه يضحكون  
مني . وهمت ان الطم وجهه لطمه تذهب بخمره . فما  
كدتُ أهم به حتى اخذني واحتملني وانا اضطرب ،

فجعلني تحت سَمرةٍ إلى الارض وانصبَّ عليّ .  
فوجدته صاحيا من اشدّ الرجال . ثمّ شدّني اليه حتى  
صرت منه . وقام عنا الرجال . فجعل يرقُّ ويحدثني  
ويقول : ما كان احسن انصبا بك على الرق . إلى ان  
طابت لي ريح الخمر في ثيابي .

فلما اصبحتنا أردفني إلى مكة . فلزمته ثلاثاً ثم  
رجعتُ إلى الحانوت وقد طاب مقامي . رحم الله  
ابا هريرة .

حديث القيامة

«متى كانت الحركة بشوق طبيعي لم تسكن البتة»  
( ابو حيان التوحيدي )

حدث ابوالمدائن - وكان من خاصة ابي هريرة -  
قال :

وقف عليّ ابو هريرة يوماً فقال : ما كسبتَ في  
يومك ؟ وكان لا يلقاني الا قال لي ذلك فاكرههم  
منه . فقلت . الا تستحي ؟ الا تجدّ في قولك ؟ لم أكسب  
شيئاً . قال : لي عليك اذن ان ترّحب بي ؛ فقد  
جئتُك مبتاعاً . كم عندك من الشمع ؟ قلت : لا يزيد  
على الستين . قال : هي لي كلها . فقمت وأحضرتها .  
فأخذها من يدي وقال : اما الثمن فهو لك عليّ قضاءً ،  
كصلاتي منذ سنين . فقلت : يا رحمك الله . أو

وتوضّحت المكان فاذا اشباح نفرّ جلوس وشيء كالحاوية  
 عليه صحير مشرفة . وكان كَهْفًا . وتكلم ابو هريرة  
 فقال : ترّجل . ففعلت واخذ فرسي شبحٌ ودخل به  
 الليل . وقلت : لن تنتهي والله . ما هذا ؟ قال : أنصتُ  
 فستعلم الامر ما فيه . قلت : ومن هؤلاء ؟ قال :  
 جماعة من الاخوان يسألون الظلام . وهاته رحانة .  
 واذا بجانبه امرأة مضطجعة على صخرة ، مطرقةٌ كانها  
 تصلي وهي متعلقةٌ به كالغصن باصله . فلم أر الا  
 الصبر .

• •

ومضت ساعة لم نقل فيها شيئاً . ثم تكلمت  
 رحانة فقالت : يثقل الكون اذا هم ان يكون . وتكلم  
 آخر فقال : ولولم يكن قبيل خلقه ثقيلاً مرهقاً لما خلق .  
 فقال ابو هريرة : لقد كان حينئذ كالالحان قبل  
 الضرب . وليس ابداع من الاوتار تجسّس . ثم سكتوا

جئتني منتها أم مبتاعا ؟ قال : ستغفر الله . بل مبتاعا  
 على سنة الله . ثم انصرف وتركني في حمة من  
 الغضب ، وكنت لم ابع شيئاً يعدّ في يومي . فلما كان  
 المغرب جعلتُ أنهيًا للانصراف . واني لمقبل على  
 الباب أغلقه اذا هو مقبلٌ إليّ . فقلت : لقد حلّ أجل  
 الدّين . فضحك وقال : لقضائه اتيت . موعده  
 العشاء بضيعتي . ثم تجاوزني في إسرار المهموم  
 الملمّة اشغاله . فقلت : لا ينتهي والله . ثم لوت .

• •

وجاء العشاء فركبت فرساً لي يُخسِن السير على  
 ظلام الليل . وخرجت إلى ضيعة ابي هريرة . وكانت  
 بنجد لا تصلح لزرع ولا لغيره ، وفيها عضاء كثيرة  
 مبثوثة . فلما قاربتها القيتُ البصر فلم أر نورا فظننته  
 اراد بي عبثاً ومزاحاً ، وهممت ان ألوي الفرس ، فاذا  
 هاتف يهتف بي . فقصدت اليه حتى وصلته .

وحدثتُ نفسي اني وقعت في مصابين او سكارى .  
 ومضت ساعة لم يعودوا فيها الى الكلام ، وطال علي  
 حتى كاد يذهب صبري . وبيننا أنا كذلك اذ هتف  
 زممار همساً رقيقاً نائياً كأنه الذكرى تتجمع في اعماق  
 النفس . ثم تعالى فاذا له صلصلةٌ وزفير وانفلاق ودوي .  
 وفيه إلى ذلك تنثُن كأن الريح تحطه وتعليه . ثم جنَّ  
 واشتدَّ وقامت اليه مزاهاً ودفوفٌ وصوتٌ مغنّية . ،  
 فراحت جميعاً في الظلام كالبرق . وكانت المغنّية  
 ربحانة . غنّت :

أسافُ ونائلةُ أوقدا جَدَوَاتِي  
 أسافُ ونائلةُ وانفيا عبراتي

وسكنتُ . فشدَّ عليها المزمار والمزاهر واجتمعت إلى  
 ذلك اصواتُ نساءٍ كثيرة قامت من ارجاء الضيعة  
 فرددن غناها . ثم عادت ربحانة تغني وتشدَّ عليها  
 المعازف والمغنّيات :

ان نفسي لحميمُ  
 ودعاهَا ياسقيمُ  
 رفرف اللحمُ عليه  
 ملك العجزُ يديه

أسافُ ونائلةُ  
 أوقدا جَدَوَاتِي  
 أسافُ ونائلةُ  
 وانفيا عبراتي

هذه الدنيا إناثُ  
 يُسمع منها لهاثُ  
 كلها تدعو الذكورُ  
 بدؤه بده الدهورُ  
 أسافُ ونائلةُ...

كم اردنا الروحَ قَيْضًا  
 واثرتنا النفسَ غَيْضًا  
 جارفاً صخرَ السدودِ  
 داوياً مثل الرعودِ  
 أسافُ ونائلةُ...

وأكلنا الروحَ حَيًّا  
 ثم خفنا منه مَيًّا  
 وانفجرنا للهوى  
 فجعلناها هواً

أسافٌ وثالثة...

انما الجين بلايا      وسقام في سقام  
مالمائي في الهوايا      ذاهب مثل هيامي  
غار فعلي في التوايا      كجبال في ظلام

حتى استوفت شعرها ثم سكن جميعا .

• •

ثم لم تلبث ان اشتعلت خمسون او ستون مشعلا  
على مسافة في صف واحد قبلنا . وكانت من  
الشموع التي اخذها مني ابو هريرة . ثم تقدم منهن  
ما ينيف على العشرين . فاذا عليها وجوه صفراء  
مختلجة كانها الموت وعليها كوضح الابتسام . ثم وقفن  
فخرجت من بينهن اثنتان وتقدمتا إلى شيء فاوقدناه ،  
وكان حطبا مهيبا . وجعلتا تطوفان به كطوافنا بالكعبة .  
فلما زفر واحمر اندفعتا ترقصان كأنما اخذهما دقق  
دافع . وكانتا ترقصان كالسنة النار فهما خارجتان منها

عائدتان اليها اشد حُمرةً منها . وكنت انظر إلى  
نهودهما فلا النهدي يقر لي ولا اليد تنفصل عن النار .  
فأرى النار ذكرًا به لوعة الصادي . وصاحت ربحانة  
فالتفت فاذا هي تتلملح كمن اصابته حمى ، فيشدّها  
ابو هريرة شداً ويقول : أطفيئها والا أطفأتك . ويقبلان  
على الجاريتين الراقصتين حتى اراهما جاحظين .

ثم اسمع الاصوات وقد قامت ثانية بأساف  
وثالثه ، ذكيا جذواتي . واتقدت النيران على قوس  
فعددتها سائر الخمسين او الستين . وتطير الجواري  
كالشعل من ورائها وطففن جميعا يرقصن والغناء  
معهن كأنه دماء تسيل . ثم انصرف اليهن من الظلام  
فتيان . فاقتفوهن وحاموا عليهن حتى رايتهم كالسافيات  
تنفضهن الرياح . وعابد رقصهم عارض جنونه وهم  
ازواج . فكانما ذهب رعداتهم بارواحهم وفقدوا  
الوصل ، ففرقت من اجسادهم اعضاؤها ومضت  
سبيلها سكرى ، وكانت قبل جماعة ذات الفة ،

فتفردت وانقضى العدد ونفر العضو اخاه ، فكأنه  
يطلب ذاته ان يفنى بها . ثم ادرك الفتیان الجوارى  
فانقضى عنهم عزيف الحوم ، وكانت الاصوات عند  
الرذة : فلانوا حتى كأن الماء يجري .

وبينما هم كذلك اذ خيلت السماء وهب نفس  
من الريح شديد سجدت له النيران وكادت تطير  
الجوارى . ثم هزم الرعد هزيمًا رائعًا ، وعصفت  
الرياح فانسابت ألسنة النيران على الارض ، فادركت  
بعض العضاه فانتقدت فانتشرت في جميعها فصاح  
الجوارى والفتيان جميعا . وصاحت ربحانة وقامت  
قيام النائمة لدغت وانحدرت إلى النار . فوثب اليها  
ابو هريرة فادركها وقد جاءت نارا وهمت ان تلقاها .  
فحضرها عنها وقال : لأعلمتك الصبر على النار . ثم  
أزف بها فأخذها الظلام عن عيني . فاسمع وقع فرسه  
منحدرا كالصخر . واسرعت إلى فرسي وأنا ذاهل عن  
الجوارى وصحي . فركبته وارسلته ، وبين اذني

زفير وصياح وصهيل خيل فرعة ، والوهج على ظهري .  
فأرد علي عقلي الا بفناء بيتي .  
وكانت ليلة شديدة .

\* \*

فلما اصبحت أصبح روعي غضبا على ابي هريرة  
وخوفا على الجوارى وصحي . فجنته . فإذا بيته انقاض  
سوداء قد اكلت النار اوصاله والقت احجاره كالعظام .  
وكانت لا تزال بقايا دخان خارجة منه بيضاء في  
الريح البارد ، وابو هريرة واقف عليه وقفة المعتبر .  
فاستلطفت له وقلت : الله اكبر . أو نار هنا ايضا ؟  
تالله انه لمن عقاب رسي . وفاض حزني فبكيت . فاقبل  
علي وقال : دع البكاء وخذ فيما اقول لك . ثم اخذني  
إلى قطعة من جدار طريح . فاجلسني وجلس وقال  
وابتسم : لم أراك لاصنام ظاهرها الروح وتملك الجسد .  
فاردت ان اثنيه عما اخذ فيه من مبهم القول فقلت :

قال ابو المدائن : وكان ابو هريرة لا يعاشر امرأته ،  
 وكانت تقول : احببته حتى جعلتهُ نوراً في ظلامها  
 نفسي على ما فيه من الشرود - قال ابو هريرة : ثم  
 قامت تريد الفرسَ أن تُكِّهه . فقلت : لا تفعل . فسيقلعه  
 بعض الغلمان . وهات حديثي . وقد اعجبني منها ان  
 ردت اليّ بعض ما احتمتها سنين . فلم تُبالِ وقامتُ  
 إلى ما تريد . فلما توسَّطتِ الفناء انشقتُ فلقُ الصاعقة  
 فأخذتها . فرأيتها وقد اشتعلتُ كأنها ملكٌ من نور ،  
 وقفز الفرس رَوْعاً . ثم نظرتُ فإذا الامر ناقص ابتر .  
 ووددتُ لو احترقتِ السحب ، وانما كان البرق ينبرها .  
 فقممتُ إلى بيتي وأحرقته وجلست انظر إلى النار في  
 الماء والماء فيها . فرمادها الآن تحت الخراب وقد  
 اصبحت بين ما اردت لها اهلا من الملائكة والمخلدين .  
 ثم قال : رحمها الله . لقد اردتها على الجبال ومثل ما  
 شهدنا البارحة من الجهاد وان تمشي على دهرها  
 كالغلك تسير آمنةً والهاوية . فقصرتُ عن ذلك . فلما

ماذا صنعت بعد الانصراف من الضيعة ؟ وأين  
 الجواري والفتيان وصحبنا وريحانة ؟ وما خبر البيت ؟  
 قال : ملكتُ ريحانةً عن نفسها فاردفتها إلى مكة .  
 وانطلقت بها في الليل يحجب عنها جسدها . فما  
 كدت ابرح الضيعة حتى جاءت المُعَصِرَاتُ بالانواء .  
 وكان البرق يستطير فتنتطق السماء وركامها والاشجار  
 والجبال وتقوم عصا الطریق فترتمي جميعا على  
 وجهي ، وسيل الماء يكاد يجرفنا والفرس . وتهيج  
 الكون حتى كأنه جهنم الشياطين ولا نار . وكانت  
 ريحانة تقول : يا ابا هريرة ذهب نارِي . وتبكي .  
 وكنت لا اعني . فالمطرُ فالريحُ فالشدةُ فأنا املاً  
 ما اكون .

وانتهينا إلى حانوتها فالقيتها . واتيت بيتي ،  
 فاطلقت الفرس بالفناء ودخلت على امرأتي . فإذا هي  
 لائذة بالسراج تطلب أنسه . فقالت : لقد بقيتُ  
 اتوقَّعك حتى ذهب التوقُّع بالامل . وهأ ليأتي جاءت .

خفت عليها اوقعتها في روحها . وقال : وان مثل كل  
جهاد لكمثل مصيرها . وينفضه البكاء .

فرقت له وبكىت وقتت به إلى بيتي . فامضى به  
اياما . ثم انصرف فلم اره دهرأ . وسألت عنه فقالوا :  
انه وريحانة . . .

مدينتي الحسن

حدثت ربحانة قالت :

مرض ابو هريرة حتى اشفقتُ عليه . وكنت  
لا أبرحه ساعةً وابكي وارجع لألمه حتى كأنني  
منه . فيهمس : ابكي ما لذلك البكاء . ويومي أن ضميني  
اليك . فاضمه ضمًا خفيفًا ، فيلقي باذني كالحنين  
ويقول : وجعت ان لست في مثل عاتي .

ثم ذهب عنه بعض مرضه فدخل إلى الابلال .  
سالته : هل عاد لك من الصحة ما كان ذهب ؟ قال :  
انه قد استوى عندي ان تذهب أو تبقى ، بل كدت  
اختار العلة .

بمرض الناس يا رحانة فيطلبون الشفاء ، فيثقل  
المرض فيضني فيذبح سدى . وقد طلبت الشفاء  
مثلهم ساعة مرضي الاولى . ثم وجدت في علتي ما لم  
أجلده في الصحة وتمت لي بها حياتي ، فخشيت ان  
تعاودني الصحة والاستقامة فاموت . كذا نحن . ولعله  
لا يبلغ العلة من الناس الا القليل . قلت : وهل في العلة  
غير الامحال وذهاب الماء يا حبيبي ؟ قال : لا أدري ؛  
فقد يكون . وقد تكون العلة من مُحَيَّات الحياة .  
بل انظري . . قالت : وكان في صوته كصدي غيب  
بعيد - اني أجد في جسدي وهو عليل كيف يرق حتى  
كانه عود كلما جسسته أن ، وكيف تدق الحاسة  
وتحتد . وقد ذهبت لي والله ساعات وانا اقفواثر الروح  
تنتقل من يدي إلى رأسي أو منه إلى صدري ، وتردد  
على الاعضاء والقلب والامعاء تردد الفجر ، فكانني  
أسبح في دمي يجري . ولدت عندي ، فيلذعني الألم  
في كتفي أو صدري أو رأسي فاننا آكل حنظلا لا

كحنظل الناس ، فيه مرارة وحموضة واللوان مختلفة ونار  
تضطرب وتحسن في العين . فكأن مقدار القوة  
والحياة يزداد للعلة ، وكأن قرب الفناء خلأق .

ترين ؟ الا تكون الدنيا من خلق الالهة عند الترع  
يا رحانة ؟

ثم تنفس فمدت نفسه . ثم قال :

وددت من زمن بعيد لوأني علقت بين السماء  
والارض ؛ أو اني جلست على قمة جبل وقد طلقته  
الارض فطار . فلم اصب ذلك الا في علتي تفك  
الجسد وتميز الاوصال فيخف اللحم والدم فكأنني في  
الحلذ . انه لا تكون الحياة أبدع مما تكون بين العدم  
والكيان ، ولا أقرب من طمانينة السعيد .

قالت رحبانه : ثم ابتسم وسكن . فنظرت فإذا  
دموعه كقطر الندى على خده وقال : ألمني ان يكون

نصف متاع الدنيا في حال لا يصيبها الانسان الا حيناً  
بعد حين ، اذا سلمَ من كثافة الصحة . وضمنتهُ  
التي وضمنني اليه . رحم الله ابا هريرة .

حديث الوضوء

و ... لانه قد صحح ان شأن الحسن ان يورث  
الملال والكلال ويحمل على الصخر والانتفاع ،  
( أبو حيان التوحيدي )

روي عن أبي سعد ، قال : حدثت رجحانة قالت :

لما ذهبنا الى المدينة سكننا بيتا منعزلا عن البيوت ،  
نشرف منه فتلقانا مقبرة المدينة . وكان أبو هريرة  
يقول : لا يطربني شيء مثل الزهرة على القبر ، ولم أجد  
مثله الا عند بعض الناس ، تركب احزانهم مركباً  
الهزل . فاقمنا بذلك البيت شهورا . وكان ابو هريرة في  
اولها يكثر من الانصراف ويدعني بالبيت ، فلا يرده  
علي الا الغداء أو العشاء . وكنت كلما دخلت البيت  
وجد العنبر والمسك والعود قد نُشرت فيه ، والوان الطعام



قد صُفِّتْ ودعت بالافواه ، وأطيبَ النبيذَ والريحان  
 قد نَصُوعُ وفاح ، - فيضِي انشراحا ويصرف سروره إليَّ  
 ويقول : لقد عَلَّمْتَنِي الطعامَ ما لذته وما سكرته . فهل  
 عَلَّمْتِكَ يا ربحانة الجوع ؟ فاقول : نعم . ولكني  
 مكتفية بك . ونجلس فأغنيه وبأكل وسقيني . وكان  
 كلما اتى طعاما أخذَه خشوع غريب . وسمعتَه يقول يوما  
 وشواء بين يديه يتقاطر : ما أعظم الشواء يستحيل إلى  
 دمي . ثم تأمله طويلا وقال : هاته متع الدنيا . وكنا  
 كثيرا ما نجلس للطعام بفناء البيت والشمس علينا .  
 فيعبث بكاسه في النور ويقول : يا لهنفي على خمري  
 تغشاه ظلمات الاحشاء . وددت والله لو تبع البصر  
 ضياه فيها . ثم يشرب قدحه صبأً فيغيب بصره  
 وكأنما جرّه النبيذ إلى غيب احشائه . وكان اذا أراد  
 الطعام تطهر له كتطهره . للاحرام .

ثم قل انصرفه فلم يخرج الأبي . فكان ينطلق

بي إلى شعاب بضواحي المدينة . فسير حتى يقعد بنا  
 التعب فيحدثني وأحدثه . وقد اراني وأباهريرة في  
 بعض سيرنا بتلك الشعاب فاسمعه بهازلني القول  
 ويضحك وعليه سمة الفرح بالحياة .

قال الراوي : ثم سكتت ربحانة وتبسمت  
 وشخصت بعين عبري .

• •

قال : قالت :

وخرجنا يوما وقد أربعنا - وكان الهواء كدمعة عذراء  
 والسماء لا ريب فيها ، وعليه ثيابٌ وشيٍ وفضة كأنها  
 كواكب الصيف ، وعليّ من الحرير شُفوفٌ تجري -  
 فذهب بي إلى مرج مزهارٍ . فاجلسني وجلس على الكلاء  
 الریان . فاطرق ساعة فقال : أتعلمين يا ربحانة انه  
 في بعض احياني

تراكضُ لَدَى قَلْبِي خَيْلٌ كَرُوى السِّحْرِ  
يَدَوِي عَضُّهَا الدِّبَا وَيَذِرُ جِبَلَ الصَّخْرِ  
فِيَشُدُّ عَلَى رُوحِي جُمُوحٌ فِي دَمِي بِجَرِي  
أَمْرٌ مِنْ ضِيِّ الحُبِّ وَأَدَهَى مِنْ عَنَا الصَّبْرِ

ثم لوى فاقبل على الاعشاب يضرب فيها يديه  
وستاصل منها قبضة بعد قبضة ، ويقول : انظري  
كيف أخذ العُشْبُ من يدي ، فهي كالدابة الآكل .  
والله كرهتُ طعامَ الانسان وَحَبِبتُ اليَّ الانعامُ في  
مراعِيها تَرعى . فقلتُ : وهل من سبيل ؟ فقال : نعم .  
ومررتُ يداه على وجهي وصدري حتى أخذتا خصري ،  
وكدتُ أَتَقَدُّ وقلتُ : الا تستحي . قال : بلى . ثم قام  
فعدنا إلى البيت .

وكانت لنا أيام لن يسقط ذكرها عني .

ثم أغمَّ وحالَ كسماء خريف . وقال : اني أجد  
كهمس المتناوحة العاصفة يا رحانة ، مثل عقر  
السحاب ، يُسَمِعُ ولا يُرى . فجهدتُ ان اصرفه إلى  
سابق فرحه بالحياة فقال :

مضى دهرٌ به كُنَّا وحدنا جِدَّةَ العمر  
وشاخ النورُ رِيحانَ وقُرَّتْ خلجة الفجر  
فيتاب سنا عيني ظلامٌ كعمى الدهر

دَعِي الذكري رحانة فقد قتلتها في نفسي ، وليس  
اقبح مما يدوم . انظري مغرب شمسك اليوم فلن  
تَرِي أبداً مثله . وقال : آيةُ جَمالِكَ ما لم تكوني ولن  
تكوني . فرأيتُه سَمِمَ مضجعي وقلت : آثراً بعد عين ؟  
قال : كلا . ولكنكنَّ معشرَ النساء كالانبياء ، اضل  
الضلال عندكن وحدانية المتوحد . وسكت ساعة  
ثم قال :

وان لك يا ريحانة سابقات . فهل لك في قصة  
احبهن ابي . قلت : هات خبرك . قال : لم تقبل علي  
من النساء الا جارية واحدة في شبابي . فقد كنت  
أطوف بالكعبة كل يوم ، وأقف على الحجر الاسود  
استغبره واستغمضه . فارى جارية تخرج إلى شأن لها  
من بيت هناك . تفعل ذلك كل يوم وتسترق النظر  
الي . حتى ملكت بصري واصبح الطواف والحجر  
الاسود سرايا في عيني . وتجرأت يوما ، فأومات اليها  
ن تلقاني عند الصفا ليلتنا تلك . فلما جاء الليل  
سبقتها اليها . فلما أحسست بها جعلت أترتم بشعير  
صنعته فيها وأنا شديد الزهوبه فهو أول شعري . فلما  
وقفت علي سلمت فلم ترد . فحسبته خفرا وقلت :  
هذا من شأن العذارى . تبسطي يا حسناء . فأومات  
بشيء فدنوت وأزحنت جلبابها وكنت لم أرها الا تحته .  
وتبينتها فإذا هي من أقبح عباد الله صورة وإلى ذلك  
صماء بكاء . فقلت : لقد ضاع شعري . وانصرفت

ولم أقل بعدها شعرا في امرأة قط . فاحذري يا ريحانة  
ان تكوني صماء لا تعي او نبيا ذا جنة .

ثم أخذته نوبة من الغضب فصاح بي حتى ارتعت :  
أكلما تمرّد شيطان في انسان قامت له امرأة نيا ؟  
أوكلما قامت في قلب أعاصير جعلتها النساء خطوطا  
مستقيمة ؟ دعيني يا هاته فقد كذبت أن تقطعي عني  
سبيلي . ثم سكت فهدا . فقلت : لا تصطنع .  
فقال وأقبل علي ودمعه يرفض : انت الحكيمة يا  
ريحانة ، فهو اصطناع كله يريد أن يكون حقا ،  
وسيكونه . ثم جعل وجهه في تحري وقال : لو كان  
إلى النسيان سبيل لكان ربحك انساني . لكن هيهات  
ومع اللحم والدم والحس يجري الهوى فيها جرافا ،  
علة في الانسان يلقاها هنا أو هنا . وضرب علي  
رأسه وقلبه .

واحدة فلا تتوقين إلى لوني منها . ثم قام فدخل البيت  
فجاء بخمر . فلم يزل يبي إلى أن وجدت من خمره ما  
أزف بي أرقص وأغني حتى ارتميت من ذرى الجبال  
كراقصات الاساطير .

• •

وعادت ربحانة إلى حديثها . قالت :

وكنت اصبت من معاشرته ما صار لي به كل شيء  
وضاحاً ، وتبرجت لي به الدنيا تبرجاً أكثر النفس .  
حتى شرب المردُّ العدد ورأيتني نوراً مشاعاً . فكأنني البنبانُ  
بنفي أحجاره ووخامه . اجعل الدنيا بوعائي فلا نفي  
واحب ان اقصر النفس فتأبى . فلما تغير أبو هريرة  
ورأيتنه يتجمع ، أصبح مستحيلاً عليّ واختلفنا .

وجاءني يوماً فقال : اني راحل عنك . فقلت :  
واي السبل اخترت لي ؟ فقال : العقبة يا ربحانة .  
قلت : وما الراحل بك ؟ قال : كره البيوت . - وقد

قال ابو سعد : سألت ربحانة : ما أغرب ما  
سمعت من أبي هريرة حينئذ ؟ فقالت : لم يكن يُغرب  
وانما كان كلامه بعيد المدى . هذا حديث الابد :  
خلونا ليلة بالمقبرة - وكانت مجلساً اذا هدأ لي -  
فجلست اليه وعلينا قمرٌ كالحرير ونسيم كالريبع ،  
وقد سقط عني كل جهد فانا كالصخرة الهاوية لا تنهي .  
فقال : ما أحسنُ دنياك يا ربحانة ؟ قلت : ان  
تجتمع فيك ولا حصر . فامسك ساعة وامسكتُ  
واكلته فاكلني وافنيته وافناني . ثم قال : أو هذا  
الابد ؟ قلت : نعم . وبلا قدم . قال : هيهات . قلت .  
ولكننا دمّرنا القدم تدميراً . قال : بل حسبنا أنفسنا ،  
ولو انتفى القدم لانفى الموت . ثم زفر وقال : واقصى  
الابد الفجر يا ربحانة . ودموعه كرجع الموج عن  
الصخر . ثم سكت وقال : لا خير في مائدة تجري من  
تحتها الانهار وعليها الوانُ الفواكه البكر ، تُجعل لك  
وتؤذنين بالجلولان فيها ، ثم لا تؤجلين فيها الا ساعة

كان يدخل علي أحيانا فيقلب البصر في البيت ويقول :  
لقد سكنتُ البيوتَ من يوم خُلِّقتُ ، فلم أَصِبْ منها  
الا البابَ أعلمُ اني أدخلُ أو أخرجُ منه : أو الجدارَ أعلمُ  
أنه يرَدني لو طلبتُ الخروجَ منه ، أو السقفَ أخشى  
أن يقعَ علينا . وإنَّ من الخير والشر والسعادة والشقاء  
لكمثل بيت نسكنه ونحزن نقول : انا وجدنا آباءنا  
فيه - فقلت : وقد كنتُ بيتًا فكرهته . فقال : نعم .  
ولو اكتشفتني فاكتفتي بك اني اذن لجان . وقد  
حدرتك ان تكوني جنتي . فإن شئت يا رحمانه ان  
ابقي فلنفي والار تويت . فادركت انه قد عاوده  
الجوس - وكان شديد الكره للترول يرتاد ولا ينزل ،  
ويقتله الطمعُ ويُحْيِيه اليأسُ ويخاف أن يستقرَّ الجهد  
وينقطع الشوق - فقلت : افعل ما ترى . فقال :  
أخذ عصاي .

ثم خرج فإذا هو منطلق باخذ مخبئي المدينة .

وكان آخر عهده وعهدي .

وقد ذهب فنَّص علي ما جاء بعده من الدنيا فلم  
أجد بها طعاما بعده . وذهب الفجر بالابد .

لقد كان دائم التوق إلى الشمس دائم الخوف  
من طلوعها . ويقول : ان استطعت فاجعل كامل  
حياتك فجرا .

رحم الله أبا هريرة .

حدیث سے الوضع ارضاً

حدث أبو هريرة في آخر عهده بالدنيا ، قال :

لقد وضعتُ من الناس كثيراً وغلبتُ نفسي عن  
كثير من متاع الآخرة والدنيا ، فلم يكن أشدَّ من  
وضعي لريحانة. وضعتها كما تضع الحاملُ المُعسر ؛ ولو  
بقيت معها يوماً بعده لطرحتها طرْحاً لا عناء فيه .



ثم قال : فانا منها إلى اليوم أعجزُ الناس عن  
الحب .

حديث عشق والوحدة

« المجدي من يستبط من بين الناس صديقا »  
( علوه )

حدث أبو المدائن قال :

لم يكن أشد شوقاً إلى صديق لم يُخلَق من أبي  
هريرة . كنت أقول في بعض الايام : عم صباحا  
يا أبا هريرة . فيلقاني بعينين كأنهما الغيبُ ويقول :  
مَن أنت ؟ أو : مِمَّن أنت ؟ ومرك الخيال .



مدینۃ الحقّ والباطل

حدث معن بن سليمان قال :

كنت أنا وأبو المدائن وأخي حرب نجتمع في  
بيت أبي هريرة كل يوم جمعة عند الظهر. فنتغذى  
وتحدث ثم نخرج عنه فنذهب إلى المسجد فنصلي .



فدخلنا عليه مرة فوجدناه بفناء بيته وقد بسط فيه  
فرشا خفيفا وجلس فاطرق وسجا . فسألنا وقلنا وقد  
أدرَكْنَا فيه هَمًّا باطنا : فيمَ هذا الوجوم ؟  
وكنا نعلمه غريبَ الاطوار ينصرف إلى ما لا يخطر  
ببال . قال : اني فقدتُ السماءَ وارتدَّ عليَّ الهواءُ

رصاصا ، ونظرت فكلَّ نظري عن مدى العين وارتدَّ  
البصرُ ظلّاما . الا تجلسون ؟ فجلسنا وقلنا : هونُ  
عليك . فيمَ هذا الغمُّ كله ؟ قال : سستمعون خيرا  
غريبا . هي أختي ، رحمها الله ، وقد ذكرْتُها .

ثم أمر بالطعام والنيبذ . فجاءونا بمائدة عليها  
لحمٌ مشوي وورطب ونيبذ كثير . فاصبنا من الطعام  
وصببنا من النيبذ ، وهو مُسكٌ لا يمدُّ يده إلى رطب  
ولا شواء ويشرب ولا يقول شيئا . فلما فرغنا من الطعام ،  
وهو على وجوهه كالممتلي بكاء لا ينفجر ، ثقل علينا  
وأعدّانا من غمِّه . فقلنا : قلها ، قد ضيقنا . قال :  
هل تعرفون للنار معنى ؟ قلنا : لا والله . قال : يرى  
الناس نيرانا كثيرة . ولكن أكثر الناس لا يفقهون .  
وللصاعقة ؟ ولظلمات القبر ؟ ولانهيار الصخور في  
الجبال ؟ وللرياح العاصفات هل تعلمون من معنى ؟  
قلنا : كلا والله . أي شيء هذا الكلام ؟ قال :

كانت لي بين السادسة والتاسعة من عمري أخت لم  
تعش الا ثلاثا . وكنتُ أحبها حب الشياطين للشر .  
وكانت ذات عاهات لا تدعُها علة الا اصابتها  
أخرى . وكانت إلى ذلك بكاء صمء . أسألُ في ذلك  
فيقال : هو القضاء . وكنت كلما بكت بكاءها  
عظفتُ عليها وحققْتُها ، فهي بكاء حتى عن مُطلق  
البكاء ترده فتوجع ولا ينشرح لها . وكنت أرهاها  
فاليهيا بما أتعلم من الألعاب مع اترابي في الحي .  
وكانت أُمي تنكرها وتقول : هي من سقطت أو عبث  
الاقدار . فلم تزل كذلك ثلاثا حتى نزلت بها يوما  
علة ذهبت بعينها ثم لم تلبث ان ذهبت بها ، فصحتُ  
وبكيت وندبتُ وطال عويلي . وحسبه الشيطان  
وقالوا : هو الله .

قال معن : فقلت : هذا ليس فيه ما يُحْمِل  
مثل غمِّك . فلا تجعل نفسك كالجليل يدعو الصاعقة

فإذا وقعت عليه ارتج وأصدى . قال : لقد علمتني  
البكاء من القضاء . ثم صب فشرب ثم انفجر فبكي  
حتى رأينا الدموع في لحيته . فرققنا له وقلنا جميعا :  
رحمها الله . وصب لنا فشرينا . وما زلنا كذلك نشاربه  
وببكي حتى جاء وقت الصلاة . فقلنا : نذهب فنصلي  
فيذهب ذلك بغمك . قال : دعوني . نصلي أولا  
نصلي ونسعد أو نشقى هل ترون فيه من خير أو شر ؟  
ثم قال : شر ما في الدنيا ان الحياة عبث . بل  
لا أدري . لعله خير ما فيها .

• •

ثم قمنا إلى المسجد وجلس عنه يشرب فلا  
يُدرِك السكر ويبكي . وجئناه بعد العصر لننظر حاله  
ونصرفه عن خواطره : وكان اذا وقع فيها طالت به  
أياما . فلما دخلنا لقيننا بوجهٍ باسم وحالٍ قد انقلبت  
عن الكدر . وقال : ما شأنكم في الدنيا ؟ باطل أم

حق ؟ قلت : ألك في خمر عتيقة ؟ وكان لي منها دن  
جاءتني به قافلة الشام في يومي . قال : أما هذا وحده  
فلا . فإذا زدت عليه ناراً نوقدها ونشرب فنعم . قلت :  
وجهنم ان شئت . قال وضحك : انت غرياً معن .  
أتظن بجهنم ناراً ؟ الا وربها لو كانت فيها شرارة  
لذهبت هباء وبطل العقاب . انما النار يا ابن سليمان  
من أمر الدنيا . ثم قام وهمنا بالباب فإذا هو يلوي  
ويقف . فقلنا : مالك ؟ قال : سترون . ثم صفق  
بيديه فاقبل غلماناً جميعاً . فجعل يسمي كلأ باسمه  
ويقول : اذهب يا فلان ، فأنت حر . حتى صرفهم  
واعتقهم جميعاً . ثم اقبل علينا فقال : وددت والله من  
شدة القلب ما أبلغ به كسر الحياة حتى أراها حطاماً ،  
أو من الحكمة ما أقدر به على اللعب كالصبيان حتى  
تذهب أيامي ، أو من القدرة ما أعنتق الحياة  
كغلمانني فتمضي .

ثم جلسنا الى الشراب ببنتي وأوقدنا نارا لظي . فلم  
يزل أبو هريرة يشز ، عليها ويقول :

أَنْظُرُوهَا تُرَاهَاتِ لَا تَقْسِرْ وَجَهَ حَتَّىٰ بَاطِلٌ لَيْسَ يَبْرَ  
كَالْحَيَاةِ

وغيره حتى كان الليل .

حديث الحاجب

حدث أبو المدائن قال :

كان أبو هريرة سراقاً أرواح . وكان من المولعين  
بالصيد . يخرج فيرمي الرميّة فيصيدها فيشرحها  
ويُلقي بها ، ولا يأتي بشيء من ذلك إلى بيته . وكانت  
تأتي عليه أيام يقول فيها : لِمَ حُرِّمَ ان يُرْمَى  
الناسُ ؟ نُفِتَ والله ان أشقَّ منهم فانظر ما في امخاخهم  
وقلوبهم واحشائهم . ثم يقول ويشير إلى بعض عابري  
الطريق : أنظر إلى هذا . اني أراه سلكني حقي ، يمرُّ  
ولا اصيب ممّا في صدره شيئاً . فاقول : وما أحوجك يا  
أبا هريرة إلى غيرك ؟ فيقول : لا أدري ، أولعله ضيقُ

مخيس النفس القرد . وقد احسد الصبيان حسدا  
شديدا . اذكرو صبيانا ؟ كُنتُ أشهد سباق الخيل ؛  
فلا ينتهي السابق إلى القصب حتى أكون قد  
استمرغْتُ في قلبي جهده وسرقت تعبهُ . وكنت  
ألاعب اترابي في الحي ، فنكون ملوكا كملوك الروم  
وطيورا وسباعا ورياحا عاصفة ونستوفي جميع ما خلق  
الله . فكان يبلغ بي الود والشوق مبلغه ، حتى لقد  
تشبَّهْتُ يوما ببعض فُطَّاع الطريق ، فتلبَّسْتُ به ، فلم  
أطلق أصحاب القافلة الا بعد ان عقلت رواحلهم  
وشددت عليهم حتى بكوا وعلت أصواتهم صياحا . ثم  
أفقتُ فاذا أنا قد مرقتُ ثياب أصحابي تمزيقا  
وأوجعتُ أكثرهم ضربا وشكوتني إلى امهاتهم .

حديث اطين

قلت : وما أكمل العطل ؟ قال : معرفة الانسان  
بقدرته ،

( الراعب الجرجاني )

عن أبي هريرة انه قال

خرجت من المدينة وقد أخذتُ عصاي أتوكأُ  
عليها فأحملها ثقلي . فتصوّرتُ لي بكرٌ من  
الارض تدعوني . فطرحت ما كان معي وقد كسفتُ عني  
لذته . ثم أوقعتُ بها رجلي فكانت كالخلق أو كالدهر .  
وهيمتُ فلم ازل فيها كعروس ليلته حتى مضت لي أيام  
وأنا أطلب من الفاكهة ما لا يعرفه أحد وادعو الكون  
أن يُعاد واغبط آدم وحواء . إلى ان تمّ علي انفرادي  
فصار لي الليل والنهار كالعبث ليس من ورائهما شيء ،

واستوى لي الزمان فهو كالبحر الساجي .  
أو كالابعد .

• •

رواه أبو عبيدة . وحدث بمثله ثابت القيسي وزاد  
عليه فقال :

وكان أبو هريرة إذ ذاك بكراع الغميم ، وإذ ذي  
رمال بين الحرمين ، يقال إنه كان من أرض الجن  
لا تبرحه المعصرات المعميات الا قليلاً ، فهو شديد  
المراس لا يجرأ عليه أحد . فرآه به من أخبرني - وظنه  
من الجنة - قال : رأيتك وقد أقبل على رسم يلعنه ويلعن  
القرون الخوالي ويتفل كالشيطان . ثم أنشأ يجيل  
بصره في حيرة الفاقد صاحبه . ثم عمد إلى  
مكان فاضطجع .

قال ثابت : فذكرت الخبر يوماً لابي هريرة وسألته  
فيه فقال : نعم . وقد ضقتُ يومي ذاك ، فطلبتُ

فرجةً ، فقلت في آدم وحواء رثاءً وحثت به نساء حي  
كانوا بالوادي . فأبين ان ينحن به وقلن : هذا أبرد  
ما رأينا من الرثاء . أنت أحمق . فقلت : نعم . ونُحِت  
به وحدي ، فلم أجد والله أبرد منه . وضحك أبو هريرة  
قال ثابت : لعله يريد حياً ونساء من الجن . أولعله  
أنشأ الخبر إنشاءً دون مطابقة . فقد كان أبو هريرة  
لا يخطيء أمراً مما يُعَالِطُ فيه ، يُصِيههُ فيغالط به ،  
كانما يكره أن ييوج بباطن سره أو يعلمه احد ، حتى  
اشبه أمره على الناس . قال : فقلنا له : وما كانت  
حاجتك إلى رثاء الشيخ والعجوز ؟ قال : لانهما كادا  
أن يعلماني جهلهما الدنيا وبكر السبيل . فلما فقدتُهما  
عادتُ تقودني السبلُ المسطورة ، ووقعتُ في سابق  
قصتي ونفسي ، وكنت أريدُها عذراء لم يطأها  
واطئ ، فإذا هي عجوزٌ فاجرة .

قال أبو عبيدة - ولم يروه ثابت :

قال أبو هريرة : وجلست ذات يوم . وكان زادي  
قد نفذ من امسي والمهاجرة قد نشرت جنتها على  
الارض ، فانا في صفاء الضحى لا يشوبها غيمٌ وضياء  
النار . وكنت بوادٍ رماله كامواج السراب يركبها البصرُ  
فينساب وتكاد تشف . فامضت لي ساعة في اطمئناني  
حتى همت ربح بمثل نجوى الانسان . ثم قوت  
فذرت الرمالَ فحففت لها على الارض كثوب خز .  
ثم زفرت فذهبت بها كألسته الافاعي . ثم  
اشتدت وزفرت فهي تمور كالبحر . إلى أن  
كشفت لي عن رسوم بالية فيها جمجمة بالية .  
فذهب ذلك بوحشتي ونزع فرحي وقلت : ما طلب  
الوحشة طالب الا استيقظ له رسمٌ دارس . فكأنني  
أجده بقلبي . وكرهته فهمت ان انصرف . وكنت  
خرجت لامحو قصتي فاذا هي في من قبل آدم

لا تمحي . ثم انتشرت خواطري فاضطجعت  
فأغفيت .

° °

فرايت في منامي رؤيا لم أرقط مثلها حماقة وغرورا .  
رأيت بلدا غربيا أهله حيناً كالتمل وحيناً كالقيلة ،  
وهم يعجنون طينا ويجعلون الحجر على الحجر  
فيشدونه به فيتخذون صروحا . ومن بينهم جماعة  
يغنون شعرا يوقعونه على احجارهم يرفعونها :

العقل	ردى	والفكر سقم
والروح	صدى	روح العدم
والفعل بقا		والجهد سلم
فلن يننا		بئس العدم

ومرتل يتلو بقراءة حمزة :

« يا أيها الملام علمت لكم من إله غيري . فأوقد

قال أبو عبيدة - ولم يروه ثابت :

قال أبو هريرة : وجلست ذات يوم . وكان زادي قد نفذ من امسي والمهاجرة قد نشرت جنتها على الارض ، فانا في صفاء الضحى لا يشوبها غيم وضياء النار . وكنت بوادٍ رماله كامواج السراب يركبها البصر فينساب وتكاد تشف . فامضت لي ساعة في اطمثناني حتى همت ربح بمثل نجوى الانسان . ثم قوت فذرت الرمال فحفقت لها على الارض كتوب خز . ثم زفرت فذهبت بها كالمسنة الافاعي . ثم اشتدت وزفرت فهي تمر كالبحر . إلى أن كشفت لي عن رسوم بالية فيها جمجمة بالية . فذهب ذلك بوحشتي ونزع فرحي وقلت : ما طلب الوحشة طالب الا استيقظ له رسم دارس . فكأنني أجده بقلبي . وكرهته فهمت ان انصرف . وكنت خرجت لامحو قصتي فاذا هي في من قبل آدم

لا تمحي . ثم انتشرت خواطري فاضطجعت فأغفيت .

° °

فرايت في منامي رؤيا لم أرقط مثلها حماقة وغرورا .  
رأيت بلدا غربيا أهله حيناً كالنمل وحيناً كالفييلة ،  
وهم يعجنون طينا ويجعلون الحجر على الحجر  
فيشدونه به فيتخذون صروحا . ومن بينهم جماعة  
يغنون شعرا يوقعونه على احجارهم يرفعونها :

العقل	ردى	والفكر سقم
والروح	صدى	روح العدم
والفعل بقا		والجهنم سلم
فليس بنا		بئس العدم

ومرتل يتلو بقراءة حمزة :

يا أيها الملاء ما علمت لكم من إله غيري . فأوقد

لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلِّي أطلع  
إلى اله موسى . واني لأظنه من الكاذبين » .

فيردون عليه ويدخلون فيه من لجنهم حتى كأنها  
دويُّ السماء ترتجج : « فكذب وعصى - ( بنضلدكم )  
- ثم أدبر يسمي - ( بنهر تلعم ) - فحشر فنادى - ( بر  
أنهتكم ) - فقال أنا ربكم الاعلى » .  
فلما استيقظت قمتُ إلى أحياء العرب فبقيت فيها  
سنتين .

قال أبو عبيدة : ولم يذكر أبو هريرة معني لِمَا  
وردت في الآية من البربرة ، تنزه كلامُ ربي عن رطانة  
العجم . وإنما هو الشيطان في النوم أَلَمَ .

حديث الكلب

حدث كهلان - وكان من صعاليك العرب وشداد  
لصوصها - قال :

اني لعلی بعض الطرق انظر حياً او قافلة أُصيب منها  
اذ اشرفت عليّ قافلةٌ كانها ثعبان . فهي في عدّة  
لا أقدر عليها . فقلت : أرجئها إلى الليل . ثم ركبتُ  
ونزلت فقلت : ضالٌّ يسترحم . وعانقت أولَ مَنْ  
لقيتُ منهم ودفعتُ الدمعة . فرقوا لي وانها لعلی الطعام  
والشرابُ وكنتم ممتلئنا فتحملتُ ما لم اتحمل مثله قط .  
ثم سرنا وانا اطلب في صحبي والعيير والبضاعة مقتلاً  
اصيبهم منه . وكنا في سنة نزلت بالناس ففرّوا لها فرارا

وتعاقبت احيائهم في اضطراب الواهة الثكلي . وكانت  
القافلة لا ينامون الا وعلى العير والمتاع رقيب . فلما جاء  
الليل وقام رقيبهم صبرت عليه إلى ان خفق الليل ووقع  
بعينه رشاش من النوم . ثم اخترت من الابل خيرها  
وركبت وسقته . فما زلت اكده سيراً حتى نجوت .  
وكنت على مسيرة يوم من احب مكاني إلى . وكنت  
أريده . فما زلت الح على فرسي والجمال حتى كانت  
الهاجرة واحتد علي حمتي الشمس فالسما حديد .

فانا إلى كته من جبل اذ سمعت هاتفا وراءه يثن .  
فقلت : بقيه حي قضى نجه اورائد حاد عن سبيله  
فهلك . ثم قلت : أرحمه فأصيب فيه ثواب المغيب .  
فمليت اليه . فلما اشرفت اذا رجل مستلق والوجه  
ياكله اكل الحساء للقة . فبادرت اليه وأقبلت عليه  
أقيمه . فكان الرجل لم يرني . فصحت به : هات  
يدك فقم . فلم يحرك يدا ولا طرفت عينه . ثم اذا  
هو استوى فصاح كمن به مس : أو هكذا يرني الدهر

بالامل البكر ؟ سر يا هذا ودعني فقد وقفت سبيلي .  
فاردت احتماله فاستلقى وهمس كالمذنب انقطعت  
أنفاسه : دعوني يا أوضع من وهاد ، يا أضعف من  
عباد ، يا أحقر من بعوض يا بني الانسان . وارتعد  
ارتعاد العريان في يوم قر . فقلت : لا تفعل الحسنه  
بمن يردها . وقلت : يرحمه الله . ثم رجعت فقلت  
وانصرفت .

• •

فما سرت ساعة حتى لقيني نقر على رواحل  
مزبدة ، وهم يجهدونها كأن على اترهم يوم الدين .  
فاستوقفوني وقالوا : هل أصبت في طريقك منفرداً  
كالتائه ؟ فاخبرتهم بخبره . فقالوا : ذاك ابو هريرة .  
ما الوجه اليه ؟ وكنت سمعت خبره وأنه من سنة أو  
سنتين يطلب حمل الناس على مذهب غريب ويقول :  
ليس من شأن الانسان الفناء والصبر . ويضرب الامثال

اصبت فيثاً اوسيتُ سيبة . فجعلت ابا هريرة تحت  
 العريش وقلت : صاحبكم تكاد ان تنضب رُوحه .  
 فمَجَلُّوا بمائه وطعامه فاني اراه لم يطعم شيئا من ايام .  
 والقيتُ دلوي فاخرجتُ ماء كالبرد . ثم سقينا ففتح  
 عينيه ، فاطعمناه وهو لا يقول شيئا . ثم اخذته الحمى  
 فدامتُ به اياما . وكان الكلب لا يبرح جانبه وهو في  
 لهاث كالمَدِّ والجزر . وبقينا كذلك اياماً ، وكانت  
 تصيب ابا هريرة عند هاجرة كل يوم نوبة شديدة يهذي  
 لها فيقول : فرعونُ ام الله ؟ او يقول : يا اوضع من  
 وهاد ... ويعيد كل ما سمعته منه يوم وقعت عليه .  
 فكنا نصبر له ويكي اصحابه حتى كأنهم نسوة  
 ويقولون : مات سيدنا .

وسالت النفر عن امره فقالوا :

ويذكر العبر . فيهزأ به الناس ويتبعه الصبيان . ثم سمعت  
 أنه تغيب عن أعين الناس . قلت : اني منطلق بكم  
 اليه . وذهينا سرعانا .

وسالت النفر ممن هم : وكانوا ستة وسابعهم  
 كلب كأن لسانه قطعة من نار . فقالوا : لقد أسقط عنا  
 ابو هريرة انسابنا فنحن لا نتسب . فتركت كلامهم ،  
 وسرنا حتى وقفنا عليه وهو لا يزال مستلقيا كالخلق  
 الطريح ، وقد فئت في عينه الدنيا . قلت : ما نصنع  
 بالرجل ؟ قالوا : نحتمله إلى ماء وظل قريب . وكان  
 في كلامهم حيرة . وكنتُ عالماً بجميع مياه المكان .  
 فقلت : انا لذلك . واحتملتُ ابا هريرة : وكان قد  
 ذهب عن الحس ذهاباً ، فهو في خفة غريبة كأنه  
 الروح . ثم اردفته وأشرت اليهم فتبعوني والكلب بين  
 ايدينا كخفق السراب . وذهبت بهم حتى نزلنا  
 بئراً مية عادية عندها صخور مبثوثة كهام الأولين .  
 وكنتُ جعلتُ عليها عريشا واتخذتها كنا ومكمننا اذا

أوماً فقمنا اليه . فسارحتى وقف بنا على احد قتلانا  
وازاح التراب فإذا وجهٌ حسناء كأنها النور . وقال :  
وقد جعلتموها ظلاما . ثم حثا عليها التراب وقام وبكي .

• •

وحدثنا وحدت الحي حتى طابت لنا الحياة . وقام  
يهدينا حتى نزل بنا جنات ووديانا طاشت عنها اعينُ  
الناس فهي على وجه الارض وكأنها من السماء .  
ومكثنا عليها اياما نصيب من الفاكهة والريحان ، عبا  
وتفاحا وتينا ورمانا وعبهرًا ونسرنا . ثم جاءنا فقال :  
أطيبتم نفوساً لغير القتال ؟ قلنا : نعم . وقلنا :  
انت سيدنا . فقام بنا إلى الاحياء نعترضها فنستوقفها  
فيقوم فيحْتَطِبُ فيقول : ان الجهاد قائمُ السيفِ بينكم  
يزقُر كالصخرة الظمأى ويوري الفتنَ الصماء . فهي  
عليكم كقطع الليل او كعنيد السبلِ سوداء . وانتم  
مسلمون راضون ؟ والله انها لمن المعجزات . ان الذئاب

كثنا من شدة السنة في مثل ذاب الكلب ، نطلب  
القوت بالسيف ونكمن للقوافل والاحياء ويكمن لنا  
وتغير ويُغَار علينا . حتى ذهب منا ومن اعدائنا .  
واطلغ علينا يوماً بعض احياء بني مرة . وكنا قد حملنا  
امراً منا وطفلين إلى الحفرة واكلنا ابلنا ولم تبق لنا الا  
الافراس . فنحن إلى عاجل الثبور - فاعرنا حتى  
طرحناهم كالعنصل . ووقعنا على الرحال والاحمال .  
فلم نُصب منها الا ثوبات هزالا مُصّت مراراً .  
فكأننا قتلنا مبيته .

وبقينا كبغل الطحان نُحوم ولا ندري المصير . فإذا  
ابو هريرة طلع علينا بكابه وعصاه . فاقبل على الجثث  
فجعل يحثو عليها التراب ويحثو كلبه حتى وآرأها  
جميعاً . ثم وقف فبكى وصلى لها وسجد كلبه . ونحن  
ننظر اليهما وليس فينا من يكلمه ولا من يقدر على  
الكلام . ثم اقبل علينا وقال : اتعجبكم جثث القتلى  
تفوح ؟ أئغنيكم الموت ؟ ام تفعلون ما لا تعلمون ؟ ثم

من الناس غيرنا . وطلبناه اياماً فلم نقف عليه . ومضت  
شهور . ثم جاءنا الكلب فقفونا . وها نحن بين يديه  
وهو كما ترى .  
ثم يعود اليهم البكاء .

• •

قال كهلان : واقمنا على ذلك اياما . حتى خف  
عنه الداء . فقال لاصحابه : دعوني وعودوا إلى  
الجنات والوديان ؛ فقد تفتدكم أم أو عدو . فانطلقوا  
انطلاق الجسد برحمة الروح . وبقيت ابا هريرة  
وكلبه . ثم اذا هودعاه فقال ومسح على راسه : وانت  
ايضا يا حبيبي . لو انطلقت لكان خيرا . فانصرف  
الكلب وهو يعوي . فلم نزل نسمعه عند العتمة وعند  
الفجر . فهو إلى اليوم يعوي ثلاثا عند الغروب وثلاثا عند  
الفجر ، وتسمعه القوافل والاحياء ولا يراه احد في ليل  
ولا نهار . وكان ابو هريرة يقول : هو ايضا يؤلمه القضاء

تلبست بدمائكم فاعارتكم وحشة وظماً وجوعاً ،  
وانبتت بافواهكم انياباً حديداً . فتاكلتم وتقاتلتم .  
فلا القتل أروى ولا النهب أشبع . والله انها لمن  
المعجزات . تُفسدون وتهدمون وتجعلون ما خلق الله  
دمارا ، وانتم لا تعلمون ما تطلبون . الا انكم فؤوس  
الخراب . أفلا تستحون وترعون ؟

او يقول شبيهاً به ثم يسكت . فيصبح الناس :  
كلامك لا يعني من جوع . فيشير اليها فتمطر عليهم مما  
احتملنا من الفواكه والتمر والبُر والرند والريحان .  
فيقبلون عليه رگما وسجودا . فيعرض ويقول : كذا انتم  
شروهن . والله انها لمن المعجزات . ثم تقوم بهم فننزلهم  
الجنان والوديان .

• •

ثم عادت الفتن ونشأ الحسد بين اهل الجنات .  
إلى ان أمسى أبو هريرة فلم يصبح . ولم يفتقده

فيكي . انه يعوي شأنه في الحياة حصيراً بما قُدِّر له .  
ذاك انين المريض او ثورة المُتمرد . فاقول : وما تعلم  
الحيواناتُ من حظُّها والقضاء ؟ فيقول : لعلها تشعر  
منه شعوراً فتوجع فتوجعاً لا ندركهما ولا نفقد  
منهما شيئاً .

حديث العدد

حدث كهلان قال :

لما ذهب اصحاب أبي هريرة والكلبُ نخلونا .  
وكان لا يزال على بقية من مرضه تباطأت به .  
وكنت على رأسه لا ابرحه . فكان يحدثني حديث الميت  
يُبَعثُ كرها ويتوق إلى موته . فسألته يوما في شأنه بين  
الناس . فقال : عشتُ في الناس ثلاثين . فلم أرَ والله  
في واحدة منها الا ذئباً ينهش ذئبا أو صاديا يشرب  
فيشتدُّ صده . ولا خير في الوحوش ولا خير في النفوس  
الصوادى ... والارضُ في ذلك تنشيءُ وتعيد . ثم  
انطلق به الفكر وكان كلما انتشر في خواطره سجا

كالبحر وشاع كالدهر وامتد . فكرهت ان اسأله ولزمت  
صمتي حتى عاد اليه الكلام فقال : اتحب ان تسمع  
خبر هؤلاء ؟ قلت : نعم . وخبر من عرفت جميعا .  
قال :

منهم قوم هؤلاء السنة . وليسوا من شأني . ادخلتهم  
وكثيراً غيرهم جنات ووديانا فسجدوا لي . ثم نظرتُ  
فإذا النعمة ترشح بالشر والكنود ، وإذا هذا يفترش  
عرض ذلك وذلك مائل النظر إلى امرأة اخيه وآخر جيل  
يده كل ليلة في متاع جاره وذويه . ولم يلبثوا ان نسوني .  
التي الرجل منهم فيقول : من أنت ؟ فأقول : ابو هريرة .  
فيقول : ومن ابو هريرة ؟ أقول : انا . يقول : ومن أنت ؟  
فهم في نسيمة وخديعة وسرقاتٍ وغديرٍ وجحودٍ للنعمة  
وقلةٍ وفاء . إنما كان لي شأنٌ مع غيرهم .  
ثم قال :

انه يا كهلان اذا كره المرء الحضر والقصر طلب كثرة

اليسم واشتاق العدد . خرجتُ اريدهم على البناء وان  
يتعاونوا ويطلبوا الشدة والبأس . فقلت : رحيلكم فرارُ  
الجبان . الا تستحون ان تكونوا كالرياح . ثم نظرتُ  
فاذا هم في سنة شديدة متخاذلون متآكلون ، وعلى  
ذلك يُصلون ويدعون الاستسقاء وربهم ، ويُسبحون  
اسماءه الحسنى . فقلت : ابن آدم يقتضي الرحمة .  
ودعوتهم إلى جناتٍ ووديانٍ وأعنابٍ مهدلةٍ من لؤلؤ  
ومرجانٍ وتينٍ وتفاحٍ ورومانٍ وماءٍ مُستراحٍ وريحانٍ . وقلت :  
كلوا واشربوا . فلما شبعوا قمتُ فقلت : اطابتُ لكم ؟  
فقال قائلهم : يا أبا هريرة جُعننا . وقالوا : دعانا  
داعي الرحيل . قلت : كأنهم مثلي ، لكن هيهات .  
ثم خرجتُ بهم إلى صحراءٍ بيضاء سماؤها خلاء .  
فناها بها وصرفوا بانبايهم واستحال الطعام فتأكلوا حتى  
ذهب أكثرهم وبقي نفرٌ منهم صاحوا : يا أبا هريرة  
طعامنا زقوم . ولم يعمد احدهم لاختيه فيأكله أو كرهوه  
وقالوا : غيرك لا يغنيك من جوع . ثم عمدوا إلى

انفسهم فنهشوا ايديهم وارجلهم نهشاً حتى ذهب  
أفواههم وانيابهم باجسادهم جميعاً كالنار تأكل النار .  
ثم قامت هامهم فهي إلى اليوم في التيه هناك يُسْمَعُ  
لها كحفيف الحية وكنقيق الضفادع ليلاً وتصور الذئاب  
نهاراً . قلت وارتعدت : لا يجدون في فَنَائِهِمْ ما لم  
يجدوا في الحياة .

وقلت : انه لا يشبع مَنْ رُوْحُهُ الْجُوعُ .

• •

ثم قلت : لعلي أجد في بعض الناس مكثفياً  
لا يزدادُ جُوعُهُ للطعام وصداه للشراب . فعدت  
فأقبلتُ على احياءٍ اخرى ذليلةٍ مستكينةٍ عليها أميرُ عُرْدُ  
مستبِدٌ . فدعوتهم إلى نخلٍ معاجيلٍ كارعاتٍ وانهار  
جارباتٍ وافنانٍ وظلالٍ واطلاقٍ حالٍ وخيراتٍ جزالٍ .  
فلما امرعوا قمت فقلت : اطابتُ لكم ؟ فصاحوا  
كلهم : قد امرعنا وطاب المقام . وتوسدوا الظلال فناموا

فقلت : كذا انتم والله ، لا تعرفون الا الاسلام . وانكرته  
فصحتُ : ايها الملا اسمعوا . اني وجدتكُم كالكلاب  
على جنة عفة ، تأكلونها نظراً وتلتمضون لها شفاهاً  
ولا يقربها أحدكم الا ذهب به انياب سيده أو أخيه .  
وكنتم في شدةٍ فاخرجتكم منها وجئتُ بكم هاته  
الجنات والوديان . فرأيتكم عليها كمثلي شيخ ذي  
وقار على يهودية عجزوا كانها الاثم اريد فلم يدرك ،  
تحدثه وتسقيه وفي عينها رحمةُ الشيطان لآدم .  
تكتفون بالصدقات وتنامون . والنعمة لا تدوم بالعباءة .  
وما اهلُ لنعمةٍ مَنْ كان رخا . أفأنتم راضون .

هاته الارض نحن خلقناها . وهاته السماء نحن  
نصبتنا عمادها فأقمناها . فهل ملكتُم من خيراتها  
شيئاً؟ - لقد قالوا عنكم : ليس لهم الا جزلةٌ من  
رغيفٍ ولعبةٍ تلهيهم كالصبيان . وحجّبوا الشمس وفيها  
لكم نورٌ به تهتدون ، وامسكوا العيون وفيها لكم حياةٌ ،  
وذبحوا عنكم البقرة الصفراء . وقالوا : ما يولد منكم

العروض وعشنا حتى تركناها دماء . وكذنا ان نظمنا  
كل حي فلا نبي ولا نذر .

• •

وجدت في الفعل كمثل سكرة الحمر وحسبته  
من العدد وخصب الكثرة .

• •

ثم اغرنا يوما فقلت : أغيروا ولا اقودكم . فأغاروا  
فانهزموا . فهم كمثل قوم تقول : ابتنوا . فيقولون :  
نحب ان تنفخ في البناء وان تقول ما نبي . فتقول :  
كسروا الجبال وأقيموا القصر والصرح . فلا يقدر  
ويقولون : إنا وجدنا انفسنا عمياً كساعده المقطوعة  
يده . افلا تجعل يلك مع ايدينا ؟ فتجعل فيثون  
شيئاً ثم يعيون . فهم كأعجاز نخل هاوية . فلما  
خاروا هممت ان اعمل بهم ما فعل أبو رغال بقومه .

اليوم ، غداً ناكل جهده ونمتص دمه . وما حرثتم  
اليوم ، إلى أفواهنا من الساعة سنابله . وقالوا :  
نساؤكم لنا إماء وأرواحكم مرعى أيها الضعفاء . ثم  
القول لكم بعظام مقشرات هزال . فجتوئتم على  
الركب تصلون . وقتلتم : طاعة وحماً يا أولي الامر  
فينا . فحشروكم فالقوكم في الاصفاد . أفانتم  
راضون ؟ أما آن ان ترتفعوا إلى الشدة والبأس ؟ ألا  
توقدونها حمراء ليس بردها جان ولا إنس ؟

ولم ازل بهم حتى رأينا الجبال من حضرموت والسرّة  
إلى طور سنا سارت وعلى رؤوسها السحب وسيلها فلق  
البرق ، فاستدارت في السماء دوماً وانشقت وانفطرت  
فتطابت قطعاً كالرعد كأنها تريد السماء أن تجعلها  
اشلاء . ورجت بنا الدنيا فإذا نحن كتاب وقد  
أزقت بنا السيوف زقا . وفضنا امواجاً مرعدة على  
الانجاد والاعوار . وانتشرنا كالليل فوقنا على الشام  
وأثرنا بنهامة نضعا واصبنا اليمن وامتدنا إلى

ثم قام ابو هريرة فأخذ عصاه وقال : ارحمهم  
يا كهلان ولا تؤمن بهم . السلام عليك يا حبيبي .  
وانطلق فكأنني به ضمه الابد .

ثم قلت : إلى أين أيتها الشدة الكاذبة ؟ وانقضى  
نحْبُ عزمي فصحتُ : دعوني أيتها الاجسادُ ليس  
لها روحٌ غيرُ ما سَلَبن من روحي . وبقيتُ وحدي على  
جَهْدِي وَتَوْقِي .

هذه يا كهلان قصة الطالب الكثرة . جثتهم  
فسألتهم روحاً فإذا هم افرغ من نفخة إسرافيل وإذا  
انا في وحشة القطرة من الندى تُغني على الغصن صباحاً .  
وها انا على صدأي . اسمعُ حفيف الحية وتقيق  
الصفادع ليلاً وتصور الذئاب نهاراً .

قلت : وعواء الكلب يا أبا هريرة ايضاً : ليلاً  
ونهاراً .

فقال : نعم وعواء الكلب ايضاً ليلاً ونهاراً ، حتى  
بعد موته وعظامه رميم ، وفاة لا يعرفه الإنسان .

حديثى الجماعة والوحدة

حدث هشام بن حارثة عن ابي عبيدة قال :

افتقدنا أبا هريرة في بعض دهره امدًا طويلًا  
 وانقطعت عنا اخباره ، حتى ساء ظننا بمصيره ،  
 وقلنا : إن كانت أمتٌ به وقأته فيرحمه الله . وكنا نتذكرة  
 وترق قلوبنا ونجده في قرارة أنفسنا أنسًا حاضرًا وإن  
 ضاع شخصه . وكان كثيرًا ما يقول لنا في خير ساعات  
 عشرتنا وحال انبساطه للدنيا : انما بهذا الأنس وهذه  
 الألفة والمحبة صور الله الأئس إنسًا ومنتعة .

ومرت احقاب . ثم اذا هو عاد من غيبه الطويلة

وتيهه في احياء العرب ، فطلع علينا أشعث مغباراً  
قاسي الوجه أليماً ، حتى كدنا لا نعرفه . فعطفنا عليه  
نسأله في أمره وخافية ما ظهر لنا من بؤسه وبأسه . فيقول  
احدنا : يا ابا هريرة من اين عليك كلُّ هذا ؟ لقد  
امتلات قلوبنا شفقةً عليك ورقة . فيصبح فينا ويلوي :  
اليكم عتي يا ابناء النكريا بني الانسان ، ان شفقتكم  
لعنة . والله لقد عاشرت واستأنست أشباهكم كثيراً .  
وحسبت أن في العشرة سعة النفس واليمن والنعمة ،  
فما كان منه الا خلاء الخيبة ووحشة الوحدة ، وارتدَّت  
الي نفسي ضيقة حسيرة ، وضل عتي كياني . وإنَّ  
ذلك هو القنوط الاشقي : أن تُعْرِىَ عشرة الجماعة  
بظاهر البركة والطهر والكثرة ، فتتكشف شراً ونجاسة  
وعُقمًا وشقاوة وحدة . كإغراء الآل في قيعه .

وكان يقول وهو يختلج كأنما اخذته الغصة .

قال أبو عبيدة : ولم يزل ابو هريرة من ذلك العهد

كالنافر من الناس : لم نر له قط بعدها عطفة . فكأته  
مات في باطنه بعض ما يكون به الانسان انسانا  
او عميت بصيرة . وكان ذلك اول انحداره  
الى نحبه .

حدیث سے اعمی سے

« كَرَيْنَ يَظْلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرَ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ »  
(قرآن)

حدث ابو اسحاق عمرو بن زيادة السعدي قال :

خرج ابو هريرة مُشْرِقًا. فضرب في الارض زمنا .  
ثم رَدَّته علينا بعض قوافل الغرب كثير الغبار فاني  
العصا . فَسَأَلْتَاهُ فِي رِحْلَتِهِ فَايْتَسَم . وقال : لو كنتم  
عشتم في مستقبل الدهر لقرأتم ما سيكتبه ابن بطوطة  
من خرافات الصبيان . وكان يقول : لقد ماتت  
الجهات الست . او يقول : من ضاعت قبلته فليسر  
ولا يطلب شرقاً ولا غرباً .

فكأنما ضاقت عنه الدنيا وفاض عنها او وقع  
عليها فأفناها .

حدیث سے احکام

حدث حرب بن سليمان قال :

جاءت علي أبي هريرة أيام كان يُسألُ : يا أبا  
هريرة حدثْ . فلا يكون منه الا ان يقول فكانتْ  
لكلامه ثقلاً يُعيبُ : لقد ضاع عني وعجز الكلامُ . فهو  
يومئذ أملأ فأعظمُ وابدعُ ما يرى واجلُ .

ولم يزل كذلك حتى خرجَ ففقدناه شهوراً .

حديث الغيبة رطب فالتدركه

« لقد عرفت ان سعادة النفس وكما لها ان »  
« تتشش بحقائق الامور الالهيّة وتتحد بها »  
« حتى كأنها هي ... »  
(الزجال)

حدث مكين بن قيمة السعدي قال : حدثني هشام  
بن أبي صفرة الهذلي قال :

كانت ظلّمةُ الهذلية من راهبات دَيْرِ العذارى .  
تَنَصَّرَ أبوها في بعض عمره فنشأت على  
النصرانية . وكانت مع حَرِّ جمالها نَقُورًا شَرُودًا ، تأتي الأوثنةُ  
وتتصنَّع طبايع الرجال . فلما بلغت من السن ما يطغى  
فيه الدُمُّ وبيضُ الماء : تَمَرَّدَتْ فترهبتُ ودخلت  
دَيْرَ العذارى . فذهب لها به ثلاث سنوات .  
فهي به اذ نزل بهم أبو هريرة . فأقام فيهم زمانا .  
ثم انصرفا معا وقد ارتدَّتْ وفجرت فأمنعت في ذلك .



ولم يكن فجور كفجورها نيةً ومعنى . وكانت تقول :  
فجوري من الطاعة والاذعان . آمنت من يوم آمنت  
بالجسد وكفرت بالروح ثم أسنتُ وفنيتُ . فاشترتُ  
تيساً ، وكانت تقول : ارتاح لنبييه .

• •

قال : قال : حدثتني ظلمة قالت :

أول عهدي بابي هريرة يومَ طرقتَ علينا بالدير . وكان  
قليلاً من يطرق علينا لمنعةِ الجبلِ وشدةِ الديرِ وعُسْرِهِ  
وانفصالِهِ عن الأرض - قال : تريد دِيرَ العذارى . وهو  
الذي على الجبلِ فوق أَكْأَبَةِ العَرَجِ يراه الحاجُّ في  
طريقهم ولا يبلُغُه الا التُّسُورُ ، ولا يعلم أحدٌ كيف  
يرتقي إليه رهبانُهُ ولا كيف ارتقى إليه أبو هريرة ولا  
ظُلْمَةٌ - قالت : وكنت صاحبةَ المِفْتَاحِ . ففتحتُ له  
وسألته ما حاجته . قال : حاجةُ الفارِّ الملتجئِ .  
فحسبته مترهِّداً مترهِّباً . فقال وأشار إلى ظله : هروبي

من هذا . فرأيتهُ يُلَوِّحُ إلى ذنوبِ اعتلقتُ به . فقلت :  
ان كنت تطلب مَحْوَهَا فادخلُ . فدخل وتقدمته الى  
رأس الدير .

ونحن بدهليز الدير اذ قال : وقد رأى مسبحتي  
وتسبيحي : في كم تسبيحة تعمي العين ؟ وكنت  
نسيت النورَ وعينيَّ لشدة ما كنتُ اصرفهما إلى الغيب .  
فلما سمعتُ كلامه ثنيتُ بصري اليه . فاذا هو من  
أوضح وأضوى وأحسن مَنْ رأيتُ عيناً ، واذا عينه  
أشدُّ ما رأيتُ شوقاً إلى ما لا تراه غيرها من العيون ،  
فكأنها تنشئُ مرثيَّها إنشاءً وكانَ روحه البصرُ . وكانت  
مِشيتُهُ لا تكاد تستقيم كأنَّ به خمراً أو نَصَباً . فقلت :  
ما بك ؟ قال : سؤالٌ أطلب جوابه . أريد أن اعرف  
أيهما أصدق وجوداً الله أم الشيطان . فقلت واستغفرت :  
استغفر ربك يا هذا وطهر نفسك من الدنيا . فصاح :  
لا تستغفري ولستُ بمستغفر . أريد أن اعرف أنا خالقُ  
الله أم الله خالقي . وأردتُ أن أمسكهُ عن كفره فأبى .

ولم يكن فجور كفجورها نيةً ومعنى . وكانت تقول :  
فجوري من الطاعة والاذعان . آمنت من يوم آمنت  
بالجسد وكفرت بالروح ثم أسنتُ وفنيتُ . فاشترتُ  
ثيسا ، وكانت تقول : ارتاح لنبيه .

قال : قال : حدثني ظلمة قالت :

أول عهدي بابي هريرة يومَ طرقَ علينا بالدير . وكان  
قليلًا من يطرق علينا لمنعةِ الجبلِ وشدةِ الديرِ وعُسْرِهِ  
وانفصالِهِ عن الارض - قال : تريد دِيرَ العذارى . وهو  
الذي على الجبلِ فوقِ أَثَايَةِ العَرَجِ يراه الحاجُّ في  
طريقهم ولا يبلُغُهُ الا النُسر ، ولا يعلم أحدٌ كيف  
يرتقي اليه رهائنه ولا كيف ارتقى اليه أبو هريرة ولا  
ظلمة - قالت : وكنت صاحبةَ المفتاح . ففتحتُ له  
وسألته ما حاجته . قال : حاجةُ الفارِّ الملتجئِ .  
فحسبته مترهِّدًا مترهِّبًا . فقال وأشار إلى ظلِّه : هروبي

من هذا . فرأيتهُ يُلَوِّحُ إلى ذنوبِ اعتلقتُ به . فقلت :  
ان كنت تطلب مَحْوَهَا فادخلُ . فدخل وتقدمته الى  
رأس الدير .

ونحن بدهليز الدير اذ قال : وقد رأى مسبِّحتي  
وتسبيحي : في كم تسبيحة تعمي العين ؟ وكنت  
نسيت النورَ وعينيَّ لشدة ما كنتُ اصرفهما إلى الغيب .  
فلما سمعتُ كلامه ثنيتُ بصري اليه . فاذا هو من  
أوضح وأضوى وأحسن من رأيتُ عينًا ، واذا عينه  
أشدُّ ما رأيتُ شوقًا إلى ما لا تراه غيرها من العيون ،  
فكأنها تنشئُ مرثيَّها إنشاءً وكانَّ روحَه البصرُ . وكانت  
مِشيتُهُ لا تكاد تستقيم كأنَّ به خمرا أو نَصَبًا . فقلت :  
ما بك ؟ قال : سؤالُ أطلب جوابه . أريد أن اعرف  
أيهما أصدق وجودًا الله أم الشيطان . فقلت واستغفرت :  
استغفر ربِّك يا هذا وطهر نفسك من الدنيا . فصاح :  
لا تستغفري ولستُ بمستغفر . أريد أن اعرف آنا خالقُ  
الله أم الله خالقي . وأردتُ أن أمسكهُ عن كفره فأبى .

وسرنا على شبيهه بذلك حتى وقفتُ به عند رأس الدير .  
فأخبرته بما كان من أمره . فاقبل عليه يسأله . فكان  
أبو هريرة ينظر إلينا نظرة غريبة ولا يجيب . ثم قال :  
الرهبانُ أينسون ويموتون عن أنفسهم ؟ قال الرأس :  
نعم . ولقد نسي المسيحُ من قبلنا . ان كنت تطلب  
لدائك دواءً فانتَ أخونا .

ثم أحملني الرأسُ أعلمه واروضه . فانصرفتُ به  
يرمي عن جسده ثيابَ أهل الدنيا . فوجدت لثيابه  
ريحاً كريح الدنيا هزت نفسي . وكأنما ادركها أبو  
هريرة مني فقال : ألا تُذكركُ إبلَ الحيّ تكون ضباعاً ؟  
ممن أنت ؟ هذا أنفك يرمع . وكان كذلك . فكرهتُ  
ان اجيبه . ثم لبس الصوفَ ومكث فينا سنةً أشهرٍ يكذِّ  
نفسه في رهبنتنا . فلم ينزل من الدير الآبي .

قالت ظلمة :

وكنت أخنتي به كلَّ ليلة في محراب أعلمه  
الاخلاصَ وأعلمه الادعية . فانا به أولَ ليلةٍ اذ أقبل عليّ  
وأخذ بيدي وقال : هل بلغت من الصلاح ما تحمّلين  
معه فتلدين ولا فحل ؟ فنفضتُ يده واقشعرتُ دمي .  
قال : ان لم يكن فالصلوات أقلُّ من الخمر جدوى .  
كيف تتخلّصون من الاجساد والارواح ؟ قلت :  
نمزقها تمزيقاً حتى ننسى الالم . وأما الروح ففي الله  
والمسيح فثاؤها . وكان من طريقتهم تعذيب الجسد  
حتى يفنى . ثم قمتُ فأتيته بسوط . فدفعه وقال :  
بيدي لا بهذا . وكنتم أقول : دم المسيح ولحمه  
يمحوان ذنوب المذنبين . فيقول : الا سبيل إلى  
تعليمي ما يُشبي ؟ الا سبيل إلى غير المعقول ؟ علميني  
الحمل والولادة وسرّ توارث الارواح أو غيبي وأرحيني .  
ليس فيكم من يحذق صنع الاصوات تُخضِر الآلهة  
وتكسر الزمان وتُشيع المحدود . فاقول : اللهم ارحمه .

ثم علمته دعاء ليلته ودخلتُ غرفتي وبكيتُ إلى فجري .

ولما أصبحنا جثت الصلاة فإذا أبو هريرة قد شق لحمه بظفره ، فهي على جسده كالخيوط الحمراء ، وصوفه مضرجة كجلد السليخة . ثم اختفى عنا وخلا بمحراه . فبقي به شهرين أو أكثر لا ينفذ إليه بصيص من النور . وكنت أذهب إليه بطعامه فلا يفتح لي باب محراه ويقول : ضعيه على الباب . فاضعه وانصرف وأعود إليه بعد ذلك فإذا هو يصوم اليومين والثلاثة لا يطعم ولا يشرب حتى خشيتُ عليه . وصرتُ بعده كالخاوية القفر وبكيتُ كثيرا . ثم انكرتُ ذلك وتمردتُ فخلوتُ أياما بمحرامي ، وبكيتُ شوقا ودعوتُ خشيةً ولعنتُ الشيطان وأبا هريرة ، وقلت : لا يغلبني . ثم لم يلبث ان وهن عزمي وكرهتُ ليالي يذهب يسكونها أبو هريرة . فخرجت من معزلي . فكنتُ أجيءُ باب محراه في جوف الليل واقنع بنفسه أسمع كنفس الريح الحيرى أو بنبرات بكائه

اسمعها كالدلو . فابكي ويخفق قلبي ثم لا يطيب منامي .

ثم خرج الينا فجائتته . وكان كالذاهب البال ، لا يكلم أحداً ولا يسأل عن أحد ، ويكثر من الجلوس في مقبرة الدير . ولم أصبر عنه فأتيتته ، فقال : هل نسيتني ؟ قلت : لم استطع . قال : وتطمعين بالموت . قلت : وهل أنستك العزلة ؟ فابتسم وقال فإذا ابتسامته في وجهه الناحل الشاحب كالفجر الطاهر : لا أدري . لعلي نسيتُ الألم . أما اللذة فلا أدري . فكأنه أثبت في سهماً . فالتقت بنفسي وكدت أقع على وجهي ، لولا أنه أقامني واحتماني إلى محرامي ، وقد غلبتُ غلبه لم يكن لي بعدها شدة ولا عزم . فلما افقت إذا هو على رأسي يقول : كذا المرأة لا تكون الا واهناً مقطوع الجهد . فإذا هممت أو اشتدت بعض يوم اذا هي رماد . ثم بقينا أياما بمحرامي ، والدير يحسبنا نتعبد ونبتهل وانما كنا في الشيطان . وكان أبو هريرة يقول : الآن علمتُ وعلمت ان اللذة لا تغلب .

فبقيتُ أبكي وبطول بكائي وكان قبلُ لربي - إلى ان  
اعتزلنا جميعاً عزلةً ثانية ، وبقي أياماً لا يُسْمَع ولا يُرَى  
ولا يَطْعَم ولا يَشْرَب . فلما اعتزل دعاني رأسُ الدبر  
فقال : احذري يا ظلمة ان يُهَيِّطِكَ الارض . فزادني  
ذلك وحشةً على وحشتي وشوقاً على شوقي . ولكني  
كنت ضاللي وإثمي وأردت أن أبلو نفسي  
ودعوتُ صلاتي ان تُعاودني وربي ان يبرز لي . فبقيت  
كذلك أياماً ابتهل وأصلي مُتَبَتِّلَةً نازعةً عن غوايبي  
مُنِيَّةً إلى الله . فلم يُجِدني ذلك أكثرَ ممَّا يُجِدني  
الطاوي مَضْغُ الحصى . وبقيتُ خاويةً فارغةً وقد هوى  
رَبِّي ، أصلي فاجد صلاتي كالشَّهْدَةِ الهَيْفَ ، وأدعو فإذا  
جوارحي ترتعد وتخلج ، كأنَّ ابا هريرة قد لبسني  
وخلفَ الله في قلبي .

ثم خرج من معزله . وَخَرَجْتُ فحشته فإذا هو فاتر  
الجسم شاحبُ الوجه منهوكُ ساهم مدنف . فجزعت  
وقلت : وما كان جزاء هذا ؟ فاخذني إلى محرابي وقال

فسأله : أو كَأَنَّ في منذ الصغر ؟ قال : نعم وفي .  
قلت : وقد كرهتها لما فيها من تواضعٍ إلى أمثالك من  
الخلق . وكنتُ من أيام تيقظي إلى محاسني ونعمية  
لحمي ادفع الجودَ بها على الرجال والوقوعَ تحتهم  
والاستكانة اليهم . فكنتُ اتناساها وانفيها حتى جاء  
أبو هريرة وقال : انه لا يتناسى الجسدَ انساناً الا أكلته  
الخيالات . وسألني : هل وجدت في تعبدك امتلاءً ؟  
اذ ذاك آمنتُ بانسانيتي ووجدت من حياتي مَلَأً  
لم أجده قبله واتسعتُ حتى علوتُ حياتي ، وكنت  
خاويةً ذليلةً مستكينَّةً مستضعفةً .

وكانت لنا أيام .

• •

ثم أهملني فكان لا يأتيني الا كالمُرْغَم الكاره .

اني أقص عليك يا ظلمة العيئة تُطلب فلا تُدرَك .  
وكانت نفسه تعوي كالذئب ؛ ولكن كلامه كالريحان  
تذروه الريحُ فيموج ويفوح . وقال : انه يا ظلمة اذا  
أقوتِ السماواتُ انهاكتُ على الظهر . قلت : حدثني  
عن الإيمان . فاطرق ساعة كالمسيخِ إلى ليلةٍ من ليالي  
الصيف هادئةٍ قمراء خالية . ثم قال : نعم ...

° °

كنت يا ظلمة أرى المؤمن مُرتاحاً كاطمئنان الجمال  
تطوي المراحل طياً ولا نصب يبدو ولا شكوى ولا  
عصيان . فأشتهي أن أكون مثله وان اعضد هذه  
الحيرة من قلبي كما تُعضد النخل العقيم . وكنت ممن  
ذهب إيمانه فجاءت حيرته . وليس سواها خليفةً  
لله في قلوب الناس . فجئتُ هذا الدبر وقلت : لعلي  
أروض النفس على الإيمان .

وقد انتهى اليوم جهادي وعلمت ان الالهة

لا تُنصم اذا هوت .

° °

قالت ظلمة : فقلت : وهؤلاء يا أبا هريرة ؟ أعني  
الرهبان . قال : انهم خليطٌ كسُوْنقاء المرق .

فيهم الهوائيون عبدة الخيالات أصحاب الاحلام .  
الذين يريدون الارض ان ترتفع إلى السماء والحقيقة  
إلى الوهم والذات إلى الظل . وقد حدثني بعضهم يوماً  
فقال : أنظرُ إلى السماء فأراها نورا والارض فأراها ماء  
ونفسي فأراها شعاعاً . ويقول النجوم اخوتي وزهر  
الارض وسادي والشمس طعامي . هل أكلت من  
الشمس ؟ انا طائرٌ أو صخرٌ أو سحاب في السماء .  
فقلت له : فإذا تيقظت ؟ قال : لا أدري في أي بلد  
وقعت وليس من همي . وطلبت مثل احلامه ، فإذا  
صاحب الاحلام اذا ذهبَتْ به قتل الدنيا وانقطع

يرفعون اليها الابصار ، فلا يذهب ذلك بشيء من  
كفرهم . فان أكثرهم يلحون في ذكر الله الجاح الشاك  
أو المنكر . وبعضاً منهم يلحون في ذلك أكثر من ذكر  
الله ولماً يعرفه فلماً خاف ان يجده سكن اللسان .  
انهم يَخْلُقُونَ ما يعبدون . ويطلبون الغيبة . ولكنهم  
لم ينجسوا من انفسهم . بل تفرد بهم شيطان الروح  
وماتوا ميتة غريبة . احياء في بواطنهم نياماً عن الدنيا ،  
قد اتسعت نفوسهم فغطت عليها . اولئك قوم تاهت  
قلوبهم واعينهم وغرهم ما غرني من أمر البراهمة بالهند ،  
يظل الرجل منهم عامّة دهره يتعبّد حراً أو قرأ ولا يُغَيَّر  
من ثيابه ولا يحرك من طرفه ، كانما ذهبت حياته  
وذهب جسده ، فكأنه القناء أو الاطمثان الكامل ،  
وليس كذلك . كذا رهبان الدير سُكُونٌ ولا اطمثان .

وقد ارتضت رياضتهم وتلوت الادعية وصلبت  
الصلوات ، وامسكت نفسي أن تكابر الله . فلما  
انتهيت فقدت نفسي . ففرحتُ وقلت : قُنَيْتُ في

إلى الفوق فليس في الكون غيره وإن هو الا خيال .  
وليس أكره من الحيا . عندي .

وفيهم الارضي بلعن ربّه أن ليس من طين مثله ،  
ويطلب المغالطة كالذئب يتصعّ جرة الغنم . فكأنه  
يقول : يا رب نزعْتُ طيني فانزع روحانيتك . ولستُ  
ممن يحب الطين ان يرتد اليه كل شيء .

وفيهم يا ظلمة الاعرج الضعيف النفس ، يحبُّ  
الكامل السالم ويُكبره فيعبده ، ويكره ضعف نفسه  
فيريد ربّه أن يُقرضه القوة .

وفيهم صاحب الشوق يحزن إلى ما يوسوس  
في صدره من ذكرى القدام .

وفيهم يا ظلمة الكفرة مثلك ايمانهم خدعة . وقد  
جهدوا ان يعلموني ايمانهم . ثم نظرت اليهم يركعون  
ويسجدون لله ويكثرّون من ذكره ويجعلونه في السماء

رَبِّي . وقلت هو الله . ثم طلبتها فاذا هي حاضرة لم  
تَغِبْ ، وانما انقلب الشكل ؛ واذا روحي لغو من  
الاناجيل وعقلي نسيج من الحروف وقلبي من الظلمات  
وربِّي وهم من ذلك وليد ؛ واذا على لساني لعنة ذي  
المَسْعَةِ يُطَعَم الرِّقُوم .

ونظرت إليهم على اختلاف مذاهبهم ، فرأيتهم  
يخدعون انفسهم أو لا يعلمون ما يفعلون ، أو يكونون  
ادخل من الملائكة في الروح يطلبون محلَّ الالهة  
ويقولون : لقد ناله المسيح من قبلنا ، - وهم على ذلك  
لا يتخلَّصون من الحاجة تُنزلهم إلى الغائط ، ولا من  
الطعام يُحرِّك فكوكهم كالابل تجتر ، ولا من الشهوة  
يركب بعضهم بعضا ، فقلت : سحقا لآء كالقردة  
أو كالحمير . وقلت : سحقا لرهبة لا تكون الا تألها  
مستحيلا أو غرورا مؤلما .

ثم خرجت عنهم وعنهما .

قالت ظلمة : فقلت : وقد أخرجتني . فاذا للجسد  
مس الجديد المُعاد الخلق . فلم يقل شيئا  
وضمني اليه .

• •

ثم هبطنا الارض .

حدیث سے الزول سے

« إذا كان الموت راصداً فالطمأنينة حمق »  
( ابن عبد ربه )

« ..... وامصايبى من غد ان أقبلا »  
ولاني هامة تعوي بقاع »  
( عمر الحيام )

حدث حرب بن سليمان قال :

إِنَّا لَعَلَى بَعْضِ طَرِيقِ الْحَاجِّ نَقَضِي مَنَاسِكَ  
الْحَجِّ - وَفِينَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مِنْ عَمْرِهِ فِي  
مَطْلَعِ الْفَجْرِ ، يُصَلِّيُ فَكَأَنَّمَا يَلْهُو ، وَيَدْعُو فَكَأَنَّمَا يُعْتَبِي - إِذْ  
مَرَّتْ بِنَا جِنَازَةٌ . فَقَمْنَا لَهَا فَإِذَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَدْ أَرْسَلَ ضَحِكَةً  
أَذِنَ بِهَا النَّاسَ جَمِيعاً . فَاخْذُتْهُ مِنْ طَرَفِ ثَوْبِهِ .  
فَإِذَا هُوَ لَا يَتَمَالَكُ - عَنْهَا ، فَهِيَ تَهْزُهُ هَزّاً .

وَلَمْ يُتِمَّ الْحَجَّ إِلَّا وَهُوَ كَالسَّاهِي عَمَّا يَفْعَلُ .

حدیث سے ایشیطان

« ما من أحد إلا وله شيطان ..... »  
( حديث نبوي )

حدث ابن مسلمة السعدي قال :

كان أبو هريرة كالماء يجري . لم نقف له في حياته على وقفة قط . كالمستعد إلى الرحيل لا ينقضي عنه الرحيل .



مدینہ، حکومت

« اعلم أن اليقظة التي هي لنا بالحس هي  
النوم والحلم الذي لنا بالفعل هي اليقظة »  
( أبو حيان التوحيدي )

حدث أبو هريرة قال :

تهدت في بعض حياتي وضللتُ السبيل . فكنت  
اضرب في الطرق تطرحني هذه إلى تلك ولا  
غاية أطلب ولا أمل يُحْيِي . وكان قد بدأني الشك فكنت  
أقبل على الشيء أو الامر فلا يملكني الا ساعة . ثم  
يغور همي فيه وتنصرف نفسي إلى غيره . ثم أزداد  
فكنت لا أكاد أهتم بالشيء حتى يسقط همي ؛ فكأنَّ  
العزم ذؤبُ شتات لا يجتمع لي . إلى أن اصبحت أهتم  
بالشيء وعكسه والفعل والقعود عنه هما واحدا ؛ وأشتهي  
لو اتفق لي النور والظلمة أو النوم واليقظة أو الشك

واني لفوق البحر يوماً على جبل مشرف اذ جاء رجل  
كالناسك فجلس بقربي وهو مطرق ساكن كالبيت  
الحرام . فأقبلت عليه أتأمله فإذا هو في عظمة الفيل  
وعليه سمة الحكمة والجلال . وهو في ذلك كله لا يقول  
شيئاً . ومضت لنا ساعة ثم قلت : ان كنت ناسكاً  
فالسلام عليك . قال : لست . وعليك السلام . ما  
الذي لك في البحر؟ قلت : شيء من الروعة . قال :  
كذا عبيد الله جميعاً ، على حسة البحر . انزل فندخل  
الماء ؟ فنشطت وقام فسلك بي منحدرًا بين الصخور  
الهاوية كأنه السراط لم أر مثله منحدرًا شديدًا . ونزلنا  
إلى الماء فإذا الرجل يغوص فيسبر في الماء غورًا فينسب  
على القعر كالثعبان ثم يطفو كالذكرى ، وشعر رأسه  
يسيل على وجهه . ثم يتوسد الماء ويضطجع على جنبه

واليقين معاً . وبقيت كذلك اياماً طويلاً لا أعلم ما  
اصنع حتى كدت أجز . ثم مرت الايام فاستقرت  
واستأنست . وقلت : ما الدنيا ما هي حتى تذهب  
انفاسنا فيها ؟ وما الآخرة ما هي حتى تذهب فيها  
دنيانا ؟ ثم اعمل فلا يكون لانيس ولا اله ولا جان ولا  
يكون كفراً ولا ايماناً ولا صلاحاً ولا فساداً . وقلت :  
لم يبق الا أن اطلب ذاتي مُطلقاً وما هبتي وأعرض عن  
المحمول واللاحق والعارض . وكذلك ذهبت ساعتني  
في ساعتني وعزيمي في عزيمي ، كالنور يأكل النور أو  
كالشمع يضيء فيحترق . حتى لقد ظننت أن الناس  
لا يجدون لي اثرًا اذا مُت . وألح علي داعي الاوساع  
الحاحاً ، واقتضاني الصفاء .

فلما تطهرت أقبلت على البحر .

ويندفع يطوي الامواج طيا فهو أمهر من عرفتُ سبحًا .  
وأخذ من أمره مأخذه ثم عاد اليّ فقال : ألك في أن  
أعلمك ؟ قلت : نعم . على قصر انفاسي وقلة بلائي  
في الماء . قال : لا بأس عليك من ذلك . ثم ضرب  
إلى عضدي وساعدي وقال : هذا محال ان يأخذه  
الشك . وكان يقول : السباحة ان تنوق إلى البحر وتنوق  
اليك . ثم لم يزل بي حتى علمتُ الماء كيف يُكثر  
القوة والنفس ويوقع في الاعضاء رقصا . وكنا نعوص  
ففسير معا فكأننا في سعة البحر .

فلا والله ما رأيتُ مثله مذهبةً للشلل .

والرجل في ذلك كله لا يحدثني بشيء من  
أمره ولا يخبرني بشأنه . حتى جاء الخريف وقد طابت  
لي صحبته .

• •

فلما أخرجنا سأله فقالت : ما خبرك وما شأنك على  
هذا البحر ؟ قال : شأنٌ كلا شأن . فسيم السؤال ؟ إن  
السؤال من علل الانسان . أتحب القصص ؟ قلت :  
نعم . قال : وتفهمها ؟ قلت : لا ادري . قال : فهي  
قصة الحكمة . وانا قاصها عليك .

كانوا يسمّونني أبا رغال . أما الآن فلا اسم لي .  
قلت : مررت على قبر بالطائف يقال هو قبر أبي ثقيف  
أو أبي رغال . قال : نعم . هو قبري وقد مرّ عليه رسول  
الله . وكانوا يقولون : أنت سيدنا وخليفة الله فينا .  
فقلت : انهم جعلوني عليهم ملكاً مُطلق الفعل .  
فاللهم أوح اليّ من روحك . وبقيت في انتظار الوحي  
فلم ينزل . وتعلّمتُ الحكمة . قلت : ومن علمكها ؟  
قال : امرأة رأيتها في يوم شديد ذي مطر وريح وقد  
خرجتُ إلى الهطل حتى امتلأت ، فشعرها وثيابها

مَثَلْتُ بِهِمْ فَسَجَدُوا مُؤْمِنِينَ خَاشِعِينَ اَمْسَيْتُ فَلَمْ  
اصْبِح . وَكَانَتْ مَوْتِي الْاُولَى .

• •

وَبَقِيَتْ اَيَّامًا بَغَارِ حَرَاءٍ فَاِذَا جَوْرِي قَائِمٌ فِي يَطْلُبُ  
أَنْ يَجُورَ عَلَيَّ ، وَخَشِيتُ أَنْ اَقْتُلَ نَفْسِي ظُلْمًا . فَجَمَعْتُ  
فَنَزَلْتُ بِهِمْ .

• •

وَجَمَعْتُ حُكَمَاءَهُمْ وَنَادَيْتُ فِي الْمَلَأِ اِنِّي تُبِّتُ  
وَأَرْجُو أَنْ تُقْبَلَ التَّوْبَةُ وَأَنْتَهُمْ يَغْفِرُونَ لِي عَسَى اللهُ يَغْفِرَ .  
وَقُلْتُ : نَخْرُجُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَالشَّرَّ مِنَ الْخَيْرِ ، أَوْ نَمْحُو  
الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مَعًا . فَاِذَا هُمْ عِقَامٌ . وَقَالُوا : مَنْتَبَحِقِنَ  
الدِّمَاءَ وَاسْكَانَ الرُّوعِ . وَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ يَوْمَ الْحِسَابِ .  
فَقُلْتُ : دِينِكُمْ كَانَكُمْ صَنِيعَ الْيَهُودِ ، حِسَابٌ فِي  
حِسَابِ . ثُمَّ امْرَأْتُ فَحَلَقْتُ لِحَاهُمْ وَرَوَّوْسَهُمْ حَتَّى

كَانَ نَهَارَ عَدْنٍ . وَكَانَتْ تَضْحَكُ كَالْمَصَابَةِ الْعَقْلِ . وَمَا  
كَانَتْ اِلَّا الَّتِي اهْتَدَتْ اِلَى سَبِيلِ الْحَيَاةِ . وَعَلِمْنِيهَا  
سَكِيرٌ يَبْكِي فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ . وَيَقُولُ : هَلْ مِنْ خِلَاصٍ  
مِنَ الْحَيَاةِ ؟ وَكَانَ لَا يَبْصُحُو سَاعَةَ اِلَّا ذَلَّ كَأَدَمَ يَوْمَ  
أُهْبِطَ الْاَرْضَ . وَعَلِمْتَنِي الْكُتُبُ مَا لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ .  
فَلَمَّا تَعَلَّمْتُ الْحِكْمَةَ جُرْتُ فِيهِمْ فَعَشَرْتُهُمْ وَافْتَرَشْتُ  
نِسَاءَهُمْ وَسَقَيْتُهُمْ عَاقِمًا وَخَنَقْتُ عَلَيْهِمْ حَتَّى كَانَهَا  
نَقْمَةً مِنَ اللهِ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقُلْتُ وَلَمْ فَعَلْتُ بِهِمْ هَذَا ؟  
قَالَ : لِأَنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَنْزِلْ وَلِأَنِّي نَظَرْتُهُ حَتَّى طَارَ لَتِي .  
وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . وَكُنْتُ أَقُولُ لِمَنْ يَسْأَلُنِي فِي  
جَوْرِي : ثُمَّ أَضْرِبُ رَأْسَهُ : إِنَّ قَوْمًا يَكُونُ فِيهِمْ مِثْلِي  
مِنَ الْاِشْرَارِ وَلَا يَقْتُلُونَهُ أَوْ يَعْقَلُونَ يَدِيهِ لَيْسُوا بِأَهْلٍ  
لِلشَّفَقَةِ وَلَا رَحْمَةٍ . ثُمَّ قَوَيْتُ وَاشْتَدَّ بِأَسِي وَقُلْتُ :  
لَا حَيَاةَ فِي غَيْرِ الشَّدَةِ وَالْعِنْفِ . فَامْرَأْتُ فَضْرِبْتُ  
اعْنَاقَ الْمَرْضَى وَالضَّعْفَاءَ كُلَّهُمْ وَالْعَمِيَّ وَالْعَرَجِيَّ  
وَالْمَصَابِينَ جَمِيعًا . وَظَنَنْتُ أَنِّي أُصِيبُ بِهِ صِحَّةً . فَلَمَّا

صارت كالعنصل . وقدمت لهم الخمر وقلت : خذوا  
من حكمتي . ففعلوا ثم خرجوا يسفون الارض سفًا .  
ف نظرت اليهم ونفلت . وجاءني قومي فقالوا : انك  
قاطع نعمتنا ومملكتنا علينا وإنا نراهم قاتليك . قلت :  
لو فعلوه لشكرتهم واعظمتهم . ولكنهم لا يفعلون .  
إنهم حقارة نسوة .

ثم قلت : أجعل لهم اسبوعاً اباحةً فانظر ما يصنعون  
وجعلت ذلك فناديت : إنا أحبنا لكم اعمالكم  
سبعة أيام بلياليها . فافعلوا ما تشاؤون . ثم نظرت فإذا  
هذا في أرضه يحرث وذلك مقبل على تجارته وماله  
وآخر يقتل وينهب على عادته وسفك ، ورأيت  
الحكماء في حكمتهم يبيعون منها ويأكلون خبزاً ،  
والمصلين في صلاتهم ، والاشرار في شرهم والأخيار  
في خيرهم . ولم أجد الا رجلاً ضربت إلى البادية فإذا  
هو وحده . فقلت : هذا ضالتي . واقبلت عليه اقبال  
الحفي المبتهج وسألته في أمره . فقال : أبحث عن نجم

سقط عني هنا ولعله غار في التراب . فهو مجنون هائم  
على وجهه . وعلمت ان لكل منهم محلّه من الحياة  
وحتى المجانين كمحلّ الكلمة من الاعراب : فكأن  
سيويه مدبر شأنهم . قال أبو هريرة : فقلت ومن  
هذا ؟ قال : رجل سيخلق ويستكر النحر . ثم قال :  
ولم أزل كذلك حتى ذهب ايماني بالناس جميعاً  
ومعاشرتهم وتقت إلى الوحدة الواحدة . وقلت :  
انه لا يحسن الفعل الا مطلقاً محضاً . وليس الحب  
حباً حتى تقتل من تحب وليس الخير خيراً حتى  
يتبدد في نفسه . ولم يبق بعدهم الا برّي بأمي .  
وكانت شديدة الحب لي فانا أحبها لذلك . وكانت  
لا تُنكر علي شيئاً من أمري وتقول : أدعو الله ان تكون  
مُحَقّاً فيما تفعل . فلما أتحصرت فيها جثتها فاردتها  
فكأنها لم تفهم . ولكنها ماتت في نفسي . فخرجت  
وقدمت موتتي الثانية .

فأنا هنا من يوم خروجي .

جئت هذا البحر وهاته الجبال التي لا تَرَى فيها  
الا صحورا هاوية على صحور هاوية . وقلت :  
أكون أو لا أكون . وكانت قبل حياتي قبيحة شوهاء  
لاني لم أحذف زواياها ولم أهدب الناتي فيها ولم أنزع  
متناقضها . فجرتُ حتى افنيتُ النَّاسَ جميعا في  
نفسي وخلوت بها . فخلقتُ لي سبيلا فأنا عليها ولا  
قافلة ولا رفيق . فكأنني قد أضعتُ ظلي واستحال علي .  
ألم ترأني لا ظل لي . قال أبو هريرة فقلت : لم أروا الله .  
فقال : وقفت يوما فاذا هو قد تمادى في طريقه  
كالراحلة تعصيك وتطرحك وتسير ، أو كروح الميت .  
ثم جعل أبو رغال يضحك فيقهقه فأجد منه كالبرد .  
ثم سكت فقال : فلما ضاع ظلي جئت البحر وخلوت  
إلى الحكمة . وقلت : لا بد أن أخرج من تناقضي .  
فالروح والجسد كالحيوت في الماء أو لا يكونان ويُهْلِك  
احدهما الآخر . ونظرت فلم أركا اتحاد الجسد والبحر

بما لكان ويتغالبان ويتلاعبان ، فيحمل الجسد الماء  
ولا يمتنُّ عليه ، لا كالروح تحمله وتمن عليه وتكرهه  
وتقضي عليه . وقلت : الحكمة الاعتدال . وقد تمت  
لي . قال أبو هريرة فسألت : وما الاعتدال ؟ فقال :  
اعتدال الحيوت أو الموت يا أبا هريرة . وانه ليس كالحركة  
الدائمة قاتل ولا كالسكون المحض سعادة وشفاء .  
فقلت : وما كان منه ؟ قال : اتريد أن ترى ؟ قلت :  
نعم . قال : هات يدك . ثم أخذني من يدي وذهب  
بي إلى صحور الجبل فقال : انظرها متدلِّبة في الجو  
لا تُشدُّ إلى شيء وقد غلبت تجاذب الاجرام كما  
غلبت الارض بالبحر . فنظرت فلم أَرِ شيئا . فقلت :  
أنا لا أرى شيئا . قال : أنت أعمى يا هذا . أو لا ترى  
ما نحتُّ عليها من صور واشكال ؟ هي ما كان مُمكنًا  
من الخلق ثم استحال . أنظر . هذا مخلوق تُحِبُّه  
السماء ثم لا يكتفي فيجبل وبلد دونها . علة للمخلوق  
والولادة . علة الارض وبنيتها . وهذا الا تراه ؟ انه جسد

ولا صورة وذات ولا صفات ، كأنه نجمٌ مات ولمَّا  
 ينقطع نوره . هو أنت ، هو أنا ، مستحيلا . وهذا أيضا .  
 انظره في خشوعه كأنه العين يغشاها القذى . انت  
 حمارٌ لَيْسَتْ له اذنان . وانما أردت أن تعلم أنك انا  
 وأنتي انت وأنا غيرنا وأن الجِنَّة من نفسك كما كانت  
 نفسك من تراب فصارَت طائرا في السماء . وهاته كلها  
 كالمخلوقات التي حبستها بغاري . تريد أن تراها ؟ قال  
 أبو هريرة : وكان في عينه وهو يقول كمثَل نور النبي  
 يُوحَى اليه ، فقلت : نعم ، وأنا لا اجرؤُ على الامتناع  
 خشية جنونه . فذهب بي إلى كهفٍ في الجبل مظلم  
 ضَبِقَ كساعة شوم . ووقف بي على بابه وقال : لقد  
 جعلت بقصري هذا جماعة من الخدم والجواري  
 الحسان لا آكل منهم أحدا . انما إذا نفذت روعي  
 عمدتُ إلى احدهم فقتلته وتلطختُ بدمه فانا من  
 خلق جديد . هذا طعام الروح . الا تنظر اليهم في  
 أغلالهم كالأسد ؟ ثم تقدمنا قليلا فنظرت فإذا

جرادات كثيرة مشدودة بخيوط حمراء . فقلت :  
 انها لبديعة الحسن . فجلس يمسح عليها ويقول :  
 ان دماءهم منوطة بالفلكيات لا تقع للنفس الناطقة أو  
 العقل الفعّال الا من نور الهبولى . ولو جاز تعدد العلل  
 وانتفت الفاعلة والمادية والصورية والغائية لكان تعلق  
 النفس بالجسد من تعلق الجرب بالشاة الجرية . لكن  
 الواجب بذاته والواجب بغيره لا يلتقيان الا وتناطحان .  
 وهما لا يكافئان الواجب الوجود لما بينهما من فرق في  
 التجريد والابداع والتدبير . وشرائط الامتناع كشرائط  
 الامكان بابها واسع كالبحر . قال أبو هريرة : فقلت :  
 لقد مات مؤتته الآخرة . وقلت : نعم . هي احلامك  
 كالسمك يُصاد فيوكل الشصّ وتتقد مصاييح دجلة  
 والقرات . قلت ذلك مجازاة لجنونه وانطلقت اضحك  
 وانطلق حتى استاقبنا . ثم قال : انت مجنون . فارتعتُ  
 وانزعجتُ حتى ارتعدتُ واهترزتُ وخفتُ أن يكون  
 ذلك جحاً اليوم أو غد .

فلما خشيت على عقلي قلت : لم يبق الا أن  
أطلب النهاية .

وأردت الانصراف فقال : احب أن تصبر حتى  
أهديك شيئا . ثم غاب في الجبل فجاءني بقلم  
وقرطاس وقال : قد تحتاج اليها يوما فتجعل عليها  
خطوطا ودوائر ونُقَطًا في وسطها بياض .

فأخذتها وانصرفت مُظلمَ العقل والقلب .

حديثك الجمود

حدث أبوالمدائن قال :

جئت ابا هريرة ليلةً فاذا هو في جمود  
الصخرة لا يشكو ولا يستطيع اليه سبيلا  
ولا يبكي . فقلت : أوكالرحى تدور على قلبها ولا طعام  
وترحي ؟ قال : انه يا أبا المدائن ليس في الناس الا ساه  
عن اخيه . خرجت ليالي عدةً اهيم على وجهي وانا اتوسل  
إلى كل عابرٍ طريقٍ ألقاه ان يلطمني لطمة تذهب بي  
فتحييني ، فلم يرحمني ولا ادركها مني احد . حتى  
ليستحيلُ عليّ في النوم حلمي . فانا الليلة على ذلك .

أَلَا تَقُلُّ وَنُذِرُ لِلَّذِينَ يَمُوتُونَ نَسَمًا لَا يَتَعَسَّبُونَ .

قال أبو المداين : وكان ذلك في آخر أيامه .

حديث البعث الآخر

« ان دالي الصدى ..... »  
( بشارين برد )

« اللولاذ بأبي السكون والسلام ، والنار »  
« تأباه و« بويستي » بأباه . لانه ما زال لعقل »  
« الانسان درجات عدة لا يبدل له من ارتقاها »  
« قبل ان يبلغ الذروة »  
( بويسر )

حدث أبوالمدائن قال :

جاءني رسولُ ابي هريرة يوماً يقول انه يدعوني  
لساعته . فاسرعت اليه وانا افكر في ما عجل به  
إلى دعوتي واخاف ان يكون وقع به ما يُكره . فلما  
دخلت عليه رايته جالسا وقد جعل بين يديه اوراقا  
واقبل عليها وهو مطرق ساكن كأنه النوء يتمخض رعدا .  
وكان بيده قلم همّ بالاوراق ثم توقّف وقد ذهب  
حمّاه . فسلمتُ وجلستُ فإذا ابو هريرة قد التقى القلم  
على القرطاس وصرف وجهه اليّ فابتسم وقال : كم  
سنتك ؟ فضحكت وقلت : ألهذا دعوتني ؟ فقال

قبيل الغروب . فإذا هو قد اسرج فرسين وقام يتوقّعي .  
 فاكدت ادخل واسلم حتى استوى على فرسه وهمزّه ،  
 فقامَ قيامَ النبل . فركبتُ وشرعتُ اثره حتى لحقته .  
 فقلت : اين بنا ؟ قال وضحك : إلى مغرب الشمس .  
 انظر اليها وقد احمرّت وغرّبتُ في عيني . والله لا  
 آسف الا على مثلها من الدنيا . وأشار اليها وهي على  
 الجبل كالدّم المَهراق . فضقت بقوله وقلت : الا  
 تنتهي ؟ إلى اين ؟ قال : لم أَرِدْ غير الفسحة والهواء  
 يسودُ والسماة تلين . ما كان من امر الدنيا اليوم ؟  
 قلت : لم يكن ما يُذكر . قال : ألم تكسبُ مالا ؟  
 قلت : بلى بعون الله ، كثيرا . فقال : اتعلم اني  
 اشترت لي ضيعةً اخرى ؟ قلت : على بركة الله . قال :  
 نعم على بركة الله ... وأما الاولى فقد جعلت فيها من  
 يُحبّها حتى تلد وكتبتها لك . فرأيتّه مازحا وما كان  
 كذلك الا في شطره . فقلت : الحمد لله أن عاد  
 لك من التدبير ما قد يشئتُ منه . وكان لم يكسبُ في

وحرك راسه : وددتُ والله لو أني خلوتُ عن العمر  
 وأخذتُ سنيّ فزرعتها في ربح الصبا . ألك في يوم  
 ليس من الدهر ؟ قلت : ومتى كان الدهر محدودا  
 فنخرج عنه ؟ قال : لقد كان منذ اليوم . انظر هذا .  
 واخذ ورقة والقها إلى . فإذا عليها خطوط قائمة  
 ودوائر ونقط سوداء تكبر وتصغر وفي وسط الورقة بياض  
 ناصع . فقلت : أطلسم أم عبث ؟ قال : بل عتق  
 الزمان وقد ضرب أو استفهام ولا معنى . فلم افهم من  
 كلامه شيئا . ولكنني صبرت وقلت : وهذا اليوم ؟  
 صرفا للكلام عن غريباته . فقال : نعم . تاتيني غدا  
 قبل الغروب وقد تطهرت . قلت : افعل ان شاء الله . ثم  
 قمت فسلمت ، وعاد إلى اوراقه ، وانصرفتُ وأنا  
 حيران .

• •

فلما كان الغد جثته في ساعته وانا طاهر كعادتي

حياته مالا قط الا خرج عنه قبل الدخول . قال :  
لقد ذهبت لي اليوم فوق الاربعين من السنين وقد آن  
الرشد . اتذكر يوم التقينا عند حُبابة المغنية وقد دخلتُ  
عليكما كَرَّها ؟ فقلت : وكنت في عريضة لم ارمثلها قط .  
فقال : واحببت ان نلتقي عليها فكرهت ذلك  
وأردت الباب ، فامسكتك عنوة ، وعلا صوتُها  
فلطمتها لطمَةً طَوَّحَتْها . ثم مزقت ثيابها وحملتك  
عليها واخذت معك الفخذ والقم والعينين وجعلت لك  
الباقي وقلت : اُفعل مثل فعلي . واقبلت على جسدها  
الاسمر اقبالَ المریدِ النهش ، فصحت وارنعت  
صياحَ ربات الحجال . قلت : نعم . وقد اراك  
فكأنه قد اصابك طائف من الجن . فتنهد وقال :  
وان كنت الا في ساعة حكمة . وقد هممت بلحمي  
مرازا بعدها اريد تمزيقه . اتعلم ما كان من امرها ؟  
قلت : لم أعد اليها بعد يومنا ذاك ولم اطلب والله خيرها .  
فابتسم ابو هريرة وقال : لانك تزوجت امرأتك بعدها

بايام . لقد قتلتها وقتلت كثيرا غيرها لثلا اقتل نفسي .  
وقد ذهب والله في الريح هباء . قلت : انك لم تفعل  
هذا . قال : وقد فعلته . ثم سكت وسكت وانا اراه  
يكذبني . ثم قال ، وقد نزل به من الفرح كنوبة  
الحُمى : لقد خرجنا من الظلمات إلى النور . فقلت  
وانا انظر إلى الليل الغاشي : بل من نور النهار إلى  
ظلمات الليل . وعثر فرسي حتى كدت اقع على وجهي .  
فنظرت فاذا نحن قد وصلنا جبلاً حزيراً صَعُوداً .  
فقلت : او تريد بنا شراً ؟ قال : كلا . انما اطلب  
النهاية . وذهب صاعدا وذهبت وانا لا اكاد ارى  
امامي شيئاً لشدة الظلام . وانما كانت بالافق  
الغربي بقايا نور تائهة كأنها الخير في قلب شيطان . وثقل  
علي السير مظلماً فأردته على الرجوع فقال وأبى :  
نحن إلى ذلك بعد ساعة . ثم ضحك وقال : الا  
تسمع ظريفةً تحمل عنك مشقة السير . قلت : هاتها .  
وكان عهدي به لطيفَ الظرف اذا اراده . قال :

أظلمتُ يوماً فطلبت لعبة أو عبثاً أُفَرِّجُ به عني .  
فجمعت صحابةً لي على دعوة دعوتهم اليها . وكانوا  
كلهم من اهل الحكمة والادب لا يسكنون عن ذكر  
الآخرة ولا يتبعون الهوى ولا يشربون الا سترا . فلما  
حضرنا ضربتُ لهم ألوان الطعام والنيذ الجيد . فجلسوا  
ينظرون إلى النيذ ولا يجرؤون عليه وهم منكروه عليّ .  
فقلت : كلكم يشرب فلا حياء في الجماعة . وكنت  
شربت مع كل واحد منهم على حدة وخلوة ،  
فاستبشروا وتضاحكوا وقال الواحد للآخر : وانت ايضا .  
ثم اكلوا وشربوا حتى انقلب كله فرحاً . فلما  
اكتفوا واثنا على طعامي وطابخته ونيذي وساقيته . قلت :  
والذي ادخرت لكم خير . فارتمت الانفس من  
العيون إلى ذخيرتي . فاشرت الى الجارية بشيء  
فقلت : نعم . وانفجرت ضحكا حتى كادت تكشف  
الامر كسفا ويصحو اصحابي . فزجرتها فلوت  
وخرجت . ثم عادت واومأت أن قد نهيأ الأمر .

فأخذتُ اصحابي وهم كأنفاس الريحان وخرجت بهم  
إلى مجلس الغناء . فقالوا : اقينة لا نعرفها ؟ قلت :  
نعم ، ولم تسمعوا والله مثلها . فصاحوا اعجاباً . ودخلنا  
المجلس وقد ضربتُ فيه ستارة . فاجلستهم وقلت :  
الآن تسمعون . وضربت في يدي . فسمعوا من وراء  
الستارة صوتاً وغناء وضرباً رومياً لم يجيء بمثلها احد  
قط . ثم سكن الغناء وقامت اصوات اصحابي  
بالاعجاب . فقلت : الا تسمعون ؟ فسكنوا فاذا بغياء  
من وراء الستارة يحكي كلامهم اقبح حكاية .  
فضحكوا فضحك البغياء ضحكاً مشوهاً كريها .  
وتكلموا ثانية ففعل بهم مثل فعله الاول ، وانا انظرهم  
وابتسم . حتى غضبوا فغضب البغياء وارادوا الانصراف  
فاراد ذلك . فضحكت والله حينئذ حتى استلقيت .  
ثم قلت : اصرفوا ملناس . وكان اسم البغياء . فصرفوه  
وسكن الغضب والانصراف عن اصحابي . وقالوا :  
لنا عليك بعد هذه السخرية ان تسمعناها مرة ثانية .

يعنون القينة . فقلت : نعم . ثم صفقت بيدي  
فصنق البيغاء بجناحيه ، فسمعوا أحسن مما سمعوا  
قبلا حتى ذهب بعقولهم وصاحوا كلهم : لقد أغنت  
عنته عجيبة . تخرجها لنا فهي من بنات الجن او الجنة .  
قلت : بل من بنات الروم ، زرقاء العين صفراء الجلد  
حمرء الشعر كانها الدنيا . فقاموا كلهم وصرخوا  
كالواحد : تهها لي ليلة . قلت : اما الآن فلا . ولكم  
علي ذلك كل بدوره ، وأبدأ باكبركم سنا . وانما  
انتم الان ناظروها . ثم قمت فازحت الستارة فاذا  
وراءها البيغاء في قفصه ، وجارية لي عجوز تحسن  
الضرب وليس انكر من صوتها وكانوا يعرفون ذلك منها  
فقالوا : وأين روميتنا ؟ قلت : هي ذي . واشرت إلى  
البيغاء . وكنت وقعت عليه عند تاجر اخذه من بلاد  
الروم في بعض قوافله اليها ولم يقدر له قدره فباعنيه ثمنا  
بخسا ، على غريب ما كان يحسن من حكاية  
الاصوات حاضرها وماضيها . فجعلت منه ملهاة في

تلك الليلة . فلما قلت ذلك شتمني اصحابي حتى  
افحشوا وانصرفوا انصرافا لم يكن لهم بعده عود .  
وبقيت اعتبر البيغاء .

\* \*

قال ابوالمدائن :

فجعلت اضحك من قصته مع اصحابه حتى  
كدت أقع ولم اتمالك عن ربح سمعها ابو هريرة .  
فضحك وقال : انتفض وضوءك وقد حانت الصلاة .  
فخرجت وأمسكت عن الضحك وسكتنا جميعا .  
ومضت لنا ساعة ثم اذا هاتف يهتف شعرا في صوت  
ما سمعت أروع منه :

أنا الحق بناديك

أنا الحب بناغيك

أنا الشوق طغى فيك

تعالَ على الذَّهْرِ  
فَأَكشَفَ عن سِتْرِي  
تَسَامَ إلى سِخْرِي  
ضِيَاءَ كَضِيَاءِ الفَجْرِ

يُروِيكَ من سِرِّي

أنا الحق طغى فيك

أنا الحب يناغيك

أنا الشوق يناديك

تخاض وهياً نصيداً

حبيبي حبيباً الأبد

علوم الغيب

خفايا الرب

إذا ما عالت

وقم كالرماح

تُعالي الجبل

مهباً الرياح

فها قد بدت

وطيراً جناح

شواطئ الأزل

فاسمع أبا هريرة يعني وكأنه النار اتقدت او الله ينادي  
في الكون بالبعث :

أبا حق ليك

تباركت ليك

حبيبي جلالتيك

أنا الآن اليك

تعال فؤادي ،

بأوج العلاء

فهذي السماء

لروحني تنادي ،

وهذا خليبي

ضياء السماء

بضيء سنياه

بنيـر سيـلي

ثم سكت فإذا انا اسمعه يقول : هذا ما كنت  
اطلب . اتذكربا أبا المدائن يوم وقفتُ عليك بدكانك  
اشتري عنك شيئاً فجاءني من اخبرني بمريم وُلدتُ؟..  
- يعني واحده وقد ماتت صغيرة - ولم يكذبتم كلامه  
حتى حث فرسه وارسله كالريح ، فاسمعُ حوايفره على  
الصخور كالرعد . وغاب عني في الليل . فلم تمض

## المراجع

- (1) أدباؤنا بأقلامهم ( استجواب ) : مجلة الندوة العدد 4 - 1956  
خلاصة آراء المسعدي في الادب وتعريف مذهبه فيه .
- (2) محمود المسعدي وكتابه السد : تقديم نير الدين صمود . الدار التونسية  
للنشر - 1973  
فصول وردود ومناقشات عدة حول المسرحية .
- (3) الشاذلي القليبي : مقلمة « للسد »  
الطبعتان الاولى والثانية للنص . تحليل مدلولات المسرحية من وجهة نظر  
وطنية ملتزمة .
- (4) محجوب بن ميلاد : مقلمة « للسد »  
الطبعتان الاولى والثانية للنص . دراسة فلسفية لمعاني المسرحية

هنيهة حتى سمعتُ صخورا هاوية وصهيلَ ألم وصيحة  
كصيحة الفرخ تملأ الوادي واقشعر لها جلدي ، فكان  
الامرَ مأدبة شياطين . ثم سكن كل شيء وناديت  
فلم يجبني احد . فلزمت مكاني إلى الصباح . فلما  
اصبحت نظرت فإذا أنا على قمة جبل يكاد يبلغ  
السماء ، واذا دم على الصخر ، واذا تحني هاوية  
يقصر عنها مدى العين .

رحم الله أبا هريرة . لقد كان أعظم من الحياة .

## الفهرس

١١	مقدمة.....
١٣	تمهيد.....
١٧	اوجاع الافاقه على التاريخ العاصف.....
٤٥	الفاتحة.....
٤٧	حديث البعث الأول.....
٥٩	حديث المزح والجد.....
٦٧	حديث التعارف في الخمر.....
٧٣	حديث القيامة.....
٨٧	حديث الحس.....
٩٣	حديث الوضع.....

(5) محمد فريد غازي :

الادب التونسي المعاصر ( بالفرنسية ) مجلة ( الشرق ) 1959 .

(6) محمد اليعلاوي : الشكل في « حدث أبو هريرة قال ... » . حوليات

الجامعة التونسية - 1975

بحث في النواحي الاسلوبية من لغة الكاتب في هذه القصة .

(7) محمد رشاد الحمزاوي : خواطر حول بعض الاحاديث من « حدث

أبو هريرة قال ... » . مجلة « الفكر » جوان 1978

محاولة تحليل بعض المظاهر النبوية في القصة .

(8) محمود طرشونة : الادب المرید في مؤلفات المسعدي . الدار التونسية

للنشر - 1978

دراسة مواقف المسعدي من وجهة نظر فكرية واجتماعية .

مَدْرَقِي سِلْسِلَة "عِيُونِ الْعَاصِمَة"

عز الدين المدني  
من حكايات هذا الزمان  
تقديم سمير العيادي

عبد الرحمن منيف  
شرق المتوسط  
تقديم حسين الواد

مصطفى الفارسي وتيجاني زلييلة  
الطوفان  
تقديم عبد الفتاح ابراهيم

عمر بن سالم  
عشتاروت  
تقديم محمد رضا الكافي

محمود المسعدي  
حدث أبو هريرة قال  
تقديم توفيق بكار

الطيب صالح  
موسم الهجرة إلى الشمال  
تقديم توفيق بكار

حنّا مينه  
الياطر  
تقديم رشيد الغزّي

أميل حبيبي  
المتشائل  
تقديم توفيق بكار

- ١٠٧ ..... حديث الوضع ايضا  
١١١ ..... حديث الشوق والوحدة  
١١٥ ..... حديث الحق والباطل  
١٢٣ ..... حديث الحاجة  
١٢٧ ..... حديث الطين  
١٣٥ ..... حديث الكلب  
١٤٧ ..... حديث العدد  
١٥٩ ..... حديث الجماعة والوحشة  
١٦٥ ..... حديث العمى  
١٦٩ ..... حديث الحمل  
١٧٥ ..... حديث الغيبة تطلب فلا تدرك  
١٩١ ..... حديث الهول  
١٩٥ ..... حديث الشيطان  
١٩٩ ..... حديث الحكمة  
٢١٥ ..... حديث الجمود  
٢١٩ ..... حديث البعث الآخر